

مقارنة الأديان أديان الهند في كتاب البيروني

إعداد

ا.م.د. هشام جمبي

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة كلية الدراسات
الإسلامية، الجامعة الإسلامية بمينيسوتا.



الملخص

يتناول هذا البحث أديان الهند في كتاب البيروني، ومحاولة حصر جل المناقشات والتعليقات التي تناولت البيروني وجهوده في تبين أديان الهند، ووصفها وتحليلها بطريقة موضوعية، أبرزت البيروني وجعلته يؤسس لعلم الدين المقارن، فما سبق إليه البيروني، هو نفس الممارسات المنهجية الموضوعية التي يقرها علم الأديان المقارن، اقتضت حدود البحث على توصيف الأديان الهندية طبقاً لكتاب البيروني وعرض المناقشات والتعليقات التي تناولت أديان الهند وذلك للوصول إلى تصور أمثل لتقييم رؤية البيروني، واستخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن، وخلص البحث إلى أهم النتائج في أن تناول البيروني لأديان الهند امتاز بموضوعية وتحليلية تؤكد ريادته في تأسيس أصول علم الدين المقارن، وأن البيروني لم يكتف بما طالعه في كتبهم، فقد احتك بعلمائهم وتناقش معهم، واستطاع أن يدقق في كل ما وصله من معلومات، وأن المناقشات الغربية أكثر عمقاً وثراءً من المناقشات العربية والإسلامية التي دارت حول البيروني وجهوده في توصيف أديان الهند وتحليلها، وتوصل البحث إلى التوصيات التالية: فقد أوصى البحث بالتوسع في استشراف جهود البيروني في كل الديانات التي تناولها في بحوثه، وأوصى بضرورة حصر وتجميع الآراء الغربية حول أعمال البيروني ومناقشتها، للاستفادة من تجاربهم ونقد بعض آراءهم غير الصائبة، والمتجنية على التقليل من جهود علماء المسلمين لا سيما في العصور الوسطى، كما أوصى بعمل ندوات ومؤتمرات تولى التنقيب في تراث البيروني بباحثين أكاديميين متخصصين، تعظيماً لدوره، وتقديرًا لإسهاماته، وتعريفًا بها.

الكلمات المفتاحية: البيروني- مقارنة الأديان، أديان الهند- مناقشات



Abstract

This research examines the religions of India as presented in Al-Biruni's book. It attempts to compile the discussions and commentaries that have addressed Al-Biruni and his efforts in clarifying, describing, and analyzing these religions objectively. This approach has highlighted Al-Biruni's contributions and established him as a founder of comparative religion. Al-Biruni pioneered the same objective methodological practices endorsed by comparative religion. The research is limited to describing Indian religions according to Al-Biruni's book and presenting the discussions and commentaries that have addressed them, aiming to arrive at a better understanding and evaluation of Al-Biruni's perspective. The research employs descriptive-analytical and comparative methods. The most important findings are that Al-Biruni's treatment of Indian religions was characterized by objectivity and analysis, confirming his pioneering role in establishing the foundations of comparative religion. Furthermore, Al-Biruni did not merely rely on what he read in their books; he engaged with their scholars, discussed matters with them, and meticulously examined all the information he received. Finally, the research concludes that Western discussions are more profound and richer than the Arab and Islamic discussions surrounding Al-Biruni and his efforts in describing the religions of India. The study of India and its analysis led to the following recommendations: It recommended expanding the exploration of Al-Biruni's contributions to all the religions he addressed in his research. It also recommended compiling and discussing Western perspectives on Al-Biruni's work to benefit from their



experiences and critique some of their inaccurate and unfair views that diminish the efforts of Muslim scholars, particularly during the Middle Ages. Furthermore, it recommended holding seminars and conferences led by specialized academic researchers to delve into Al-Biruni's legacy, thereby honoring his role, appreciating his contributions, and raising awareness of them.

Keywords: Al-Biruni - Comparative Religion, Religions of India - Discussions

مقدمة

تعد أديان الهند من الأديان الجديدة بالبحث والدراسة، وذلك لجملة أسباب منها: أهمية ذلك للدعوة، ولمقارنة الأديان، وللمعرفة والثقافة العامة، وقد اهتم البيروني بجميع أديان الهند، وقام بتوصيفها ومناقشة طقوسها ومعتقداتها، كان البيروني سابقاً إلى ذلك بموضوعية فذة، تحلى بالتسامح واحتك برموز الأديان وممارسيها، وحتى الفقراء وأبسط ممارسيها، ولا توجد دراسة متخصصة، تناولت أديان الهند في كتاب البيروني في محاولة جادة لتجميع جل المناقشات والتعليقات التي تناولت أديان الهند لدى البيروني، الأمر الذي يحتم جدية دراسة تستشرف وتستكشف أبعاد أديان الهند في كتاب البيروني، والنظر في المقارنات التي قارن بها البيروني ما في اليونان والإسلام، محاولاً الوصول إلى أمثل تصور ممكن لتوصيف أديان الهند طبقاً لما في مصادرها الهندية الأصيلة. أهم كتابين في التخصص هما: "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، "الآثار الباقية عن القرون الخالية". اهتمام العالم الإسلامي بهذه الشخصية جاء متأخراً، الهندوسية، وهي التي أفرد لها كتاباً مستقلاً وهو "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، واليهودية، والمسيحية، التي ذكرها في كتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية".

مشكلة البحث

محاولة استشراف أديان الهند لدى البيروني، وعرض معظم تصوراتها لممارسة طقوسها للوصول لأنموذج أمثل لها، والحق إن القضية بحاجة لبحوث وبحوث لتغطية جل أبعاد طقوسها، إذ لا يمكن لبحث واحد مهما كانت جديته أن يغطي جل أبعاد أديان الهند لتعددتها وتنوع طوائفها.



أسئلة البحث

- يمكن حصر أسئلة البحث في الأسئلة الخمسة التالية:
1. ما أديان الهند لدى البيروني؟
 2. كيف وضع البيروني أديان الهند وطقوسها؟
 3. كيفية ممارسة هذه الأديان؟
 4. كيفية أديان الهند عند أكبر الفرق الهندية كما بينها البيروني؟
 5. مقارنة بين أديان الهند والإسلام والمسيحية كما وضخها البيروني.

أهداف البحث

يهدف البحث جاهداً على استكشاف ماهية أديان الهند لدى البيروني وتجليتها، ليخلص إلى توصيف أديان الهند طبقاً لاستيعاب البيروني بما شاهده، ولا حظه، وما اطلع عليه في مصادرهم ومراجعهم، وتعليقات العلماء ومناقشاتهم.

حدود البحث

اقتصرت حدود البحث على توصيف الأديان الهندية طبقاً لكتاب البيروني وعرض المناقشات والتعليقات التي تناولت أديان الهند وذلك للوصول إلى تصور أمثل لتقييم رؤية البيروني.

منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج النقدي التحليلي باعتباره أنسب المناهج لطبيعة هذا البحث، بجانب المنهج المقارن نظراً لطبيعة البحث.

صعوبات البحث

واجه الباحث قلة المصادر العربية التي تناولت أديان الهند، فضلاً عن كتاب البيروني، مع تكرار نفس المادة العلمية، وقد اضطر الباحث على الاعتماد على المصادر الأجنبية في المناقشات، نظراً لقلة المادة في المصادر العربية.

الدراسات السابقة

رتبت الدراسات ترتيباً زمنياً.

الدراسة الأولى: الدراسات الإسلامية المبكرة في الأديان: دراسة أعمال ومساهمات أبي الريحان البيروني (ت ٤٤٠هـ) في مقارنة الأديان.¹ يُعدّ علم مقارنة الأديان، من أعظم إسهامات الحضارة الإسلامية للبشرية، إذ ساهم في التقدم الفكري من خلال كشف أسرار الدين، ويُنسب إلى مسلم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م)، مؤلف كتاب «الملل والنحل»، الذي يصف فيه تقريباً جميع أديان العالم المعروفة آنذاك حتى حدود الصين²، وتميزت الدراسات المقارنة للأديان، بوجود أدلة دقيقة، وانضباط عالٍ، وتمسك شديد بدينهم، سعى الراوي إلى إبراز شخصياته بأفضل صورة ممكنة، اتبع بعض العلماء المنهج الجدلي، أي أنهم أجروا تحليلاً معمقاً ونقداً مستفيضاً للأديان المدروسة، مثل كتاب «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم، وقد فند ابن حزم صحة عدد من الأديان بإثبات عدم موثوقية نصوصها، لكن البيروني في تحقيقه اعتمد الأساليب التحليلية³.

وقدمت الدراسة حجة مقنعة مفادها أن أبا الريحان البيروني هو الأب الرائد للأديان المقارنة، مساهماً مساهمات أساسية ومنهجية ملتزماً بالمنهج الظاهراتي، حيث نبذ البيروني المعلومات غير المباشرة والتحيز الجدلي، معتمداً على الملاحظة التشاركية، والانغماس الإثنوغرافي، والنصوص الأصلية، فضلاً عن التحليل الموضوعي، وقام بفصل قناعاته اللاهوتية عن دراساته، مُتعاملاً مع أنظمة المعتقدات الأجنبية (مثل الهندوسية) بتعاطف وحياد أكاديمي صارم، تناولت الدراسة كتابيه: كتاب الهند: دراسة موسوعية مُعمقة للفلسفة والعلوم والعادات الاجتماعية الهندوسية، وكتاب الآثار الباقية: عمل وصفي سردي مُوجه إلى الباحثين عن المعرفة العامة حول... تاريخ

1- Kamar Oniah Kamaruzaman,(1996) Early Muslim scholarship in religionswissenschaft : a case study of the works and contributions of Abu Rayhan Muhammad ibn Ahmad al-Biruni, International Islamic University Malaysia.

2- ibid,p 1.

3- Kamar Oniah Kamaruzamān,Early Muslim scholarship in religionswissenschaft,p26-24.



وتقاويم وممارسات حضارات قديمة متنوعة، ويعزز نهجه العالمي مخططاً لتعزيز الحوار بين الثقافات والتعايش السلمي في عالم متزايد العولمة والتعددية، وهذه الدراسة لم تقتصر توصيفاً لتراث البيروني، بل ناقشت آثار وبصمات المسلمين الأوائل في مجال مقارنة الأديان.

الدراسة الثانية: الأديان الوضعية⁴

قُسم الكتاب إلى عشرين درسًا، تناولت أديان الهند الكبرى بدأً فلسفة الموت والروح، وعقيدة خلق العالم، والخلاص من الشر، ثم الديانة الهندوسية ثم الديانة البوذية ثم الديانة الجينية، ثم الديانة البوذية الصينية، ثم الديانة المانوية، ثم الديانة الزرادشتية وختم بمقارنة بين عقائد المانوية والزرادشتية في: الله، والنفوس، والمصير، ونقل عن البيروني «وأما منشأ الوثنية في الديانة البرهمية: فهي أنهم كانوا يعبدون القوة المؤثرة في الكون، ثم لم يلبثوا أن جسدوا تلك القوى بأن اعتقدوا حلولها في بعض الأجسام؛ فعبدوا الأصنام بحلولها فيها، وتعددت آلهتهم حتى وصلت إلى ثلاثة وثلاثين إلهًا، ثم اعتري عقائدهم التغيير والتبديل، حتى انحصر الآلهة في ثلاثة أقانيم، وذلك أنهم توهموا أن للعالم ثلاثة آلهة وهي: «برهما» وهو الإله الخالق مانح الحياة، القوي الذي صدرت عنه جميع الأشياء، وينسبون إليه الشمس، الثاني: سيفاً أو سيوا، وهو الإله المخرب المفني، الذي تصفر به الأوراق الخضراء، ويأتي بالهرم بعد الشباب، وينسبون إليه النار؛ لأنها عنصر مدمر مخرب، الثالث: «وشنو أو يشن» على حد تعبير البيروني ويعتقدون أن «وشنو» هذا حل في المخلوقات؛ ليبقى العالم من الفناء التام⁵، أما النفوس وخلودها وتناسخ الأرواح: فهو أيضاً ومن أهم معتقدات الهندوسية؛ خلود النفوس وتناسخ الأرواح⁶، وعلى الرغم من أن المؤلف نقل نصوصاً مما ذكره البيروني، إلا أنه لا

4- المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الأديان الوضعية، كود المادة: GUSU5103، المرحلة: ماجستير، الناشر: جامعة المدينة العالمية، عدد الصفحات: 488 بدون تاريخ، ومتاح في المكتبة الشاملة <https://shamela.ws/book/#143/30912p1>

5- المصدر السابق، ص 33

6- المصدر السابق، ص 34

يحيل إلى المصادر والمراجع البتة، ولا حتى في نهاية الكتاب.
الدراسة الثالثة: جهود أبي الريحان البيروني في دراسة الأديان مذكرة
ماستر ٢٠٢١ م.⁷

أعياني البحث عن إيجاد هذه الرسالة، هي للباحث عبد الله بسام، عبارة
عن مذكرة ماجستير، وقد كفتنا د. شافية صديق تناول هذه الرسالة،
خطوة نحو تشريح تراث تاريخ الأديان عند البيروني، أهم كتابين في
التخصص هما: «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل
أو مردولة»، «الآثار الباقية عن القرون الخالية». حاول إجابة سؤاله
الرئيس: ما هي أبرز الجهود التي قام بها البيروني في دراسة الأديان؟

علاقة هذا البحث بالدراسات السابقة

أولاً: علاقته بالدراسة الأولى أن هذا البحث يتجاوزها، إذ اقتصرت
توصيفاً لتراث البيروني في مقارنة الأديان، في سياق مناقشته للآثار
وبصمات المسلمين الأوائل في مجال مقارنة الأديان، وهذا البحث
يركز خصيصاً على أديان الهند من رؤية البيروني، لعله أكثر تدقيقاً
وتحقيقاً، وعلاقة البحث بالدراسة الثانية، أنها تناولت جملة ديانات
وضعية: الديانة الهندوسية ثم الديانة البوذية ثم الديانة الجينية، ثم
الديانة البوذية الصينية، ثم الديانة المانوية، ثم الديانة الزرادشتية
وختمت بمقارنة بين عقائد المانوية والزرادشتية، وعلاقة البحث يركز
على أديان الهند من خلال كتاب البيروني فهي أكثر تدقيقاً، وعلاقة
البحث بالدراسة الثالثة، أن تلك الدراسة حاولت إبراز الجهود التي قام
بها البيروني في دراسة الأديان عامة من خلال كتابه، في حين أن
بحثنا يركز تحديداً على أديان الهند كما وصفها البيروني، فضلاً عما
تبع ذلك من مناقشات وتعليقات تجمع لأول مرة في بحث واحد.

خطة البحث

يشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس المصادر

7- الدكتورة شافية صديق، جهود أبي الريحان البيروني في دراسة الأديان مذكرة ماستر، مدونة د. شافية
صديق، السبت 17 أبريل 2021



والمراجع.

المقدمة: مشكلة البحث وأسئلته وأهدافه وحدوده ومنهجه
والدراسات السابقة.

المبحث الأول: البيروني

المطلب الأول: سيرته الذاتية.

المطلب الثاني: أهم أعماله.

المبحث الثاني: أديان الهند في كتاب البيروني وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وصف الكتاب.

المطلب الثاني: الأديان الهندية.

المبحث الثالث: أديان الهند مناقشات وتعليقات.

المطلب الأول: المناقشات العربية والإسلامية.

المطلب الثاني: المناقشات الغربية.

المطلب الثالث: أهم التعليقات.

الخاتمة بالنتائج والتوصيات ثم المراجع

المبحث الأول: البيروني

نتناول في هذا المبحث البيروني، اسمه ولقبه ونسبه ومولده، واللغات التي يجيدها، ونبذة عن حياته وعصره، وأهم أعماله إجمالاً وبإيجاز.

المطلب الأول: اسمه ولقبه ومولده

البيروني هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، ولد سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م بإحدى ضواحي خوارزم في فارس (أوزبكستان حالياً).

لقبه: البيروني

تعني كلمة «بيرون» باللغة الفارسية الضاحية أو الخارج، ولُقّب بذلك لكونه من ضواحي خوارزم، أي أنه من ضواحي خوارزم⁸، لا من المدينة نفسها⁹، وقد وهم كثير منهم: ابن أبي أصيبعة حين ترجم للبيروني¹⁰، وقال: هو الأستاذ / أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، منسوب إلى بيرون، وهي مدينة بالسند، وتابعه في ذلك أحمد أمين¹¹، وذهب إلى ذلك عمر بن سكا حيث عد بيرون مدينة¹² بإقليم خوارزم (أوزبكستان حالياً).

نسبه

اختلفوا في نسبه كثيراً، بالرغم من العرق الذي كان يمت بأبي الريحان البيروني إلى الفرس، فإنه كان عربي الثقافة، والروح، والعصبية، لا يدين بالولاء إلا للإسلام، ولا يرضى أن ينسب إلى غير المسلمين، ومنهم من نسبته إلى العرب لحب البيروني الشديد للغة العربية وحرصه على التأليف بها، مستشهداً بقول البيروني إن الهجو بالعربية أحب

8- أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت 440هـ)، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403 هـ، ص5

9- السمعاني، كتاب الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، 1988، 1/ 429

10- أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب ت، 2 / 30 .

11- أحمد أمين، ظهر الإسلام، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 2016 م، 1 / 28.

12- د. عمر بن سكا، نقد الأديان عند البيروني، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، 1423هـ/2021م، ص100



إلي من المدح بالفارسية¹³ وبناءً على ما تقدم لا يمكن أن يصح ما اتهمه به فيليب حتى¹⁴، من أن أبا الريحان البيروني كان ممن تزعموا معسكر الشعوبية ضد المعسكر العربي.

اللغات التي يجيدها:

كان البيروني جيد لغات كثيرة هي: اللغة العربية، والفارسية، والسريانية، واليونانية، والهندية القديمة «السنسكريتية»، مما ساعده على الاطلاع على ثقافات الأمم بلغاتها دون الحاجة لترجمة. وهو عالم موسوعي إسلامي، برع في علوم كثيرة: في الرياضيات، والفلك، والفيزياء، والجغرافيا، والصيدلة، ويُعد واحد من أعظم العقول في التاريخ، ساهم في إثبات كروية الأرض، وحساب خطوط الطول والعرض، وترك إرثاً ضخماً يتجاوز ١٥٠ مؤلفاً، أشهرها «القانون المسعودي»، وهو أحد مشاهير رياضي القرن الرابع للهجرة، ومن الذين جابوا الأقطار ابتغاء البحث والتنقيب¹⁵.

حياته وعصره

عاش طفولته في الضاحية وترعرع البيروني في خوارزم، وأقام أبو الريحان البيروني بخوارزم حتى اشتهر بالخوارزمي، وحين بلغ أبو الريحان العشرين من عمره، كان قد عب من بحر العلوم والمعارف عباً، وتفتح عقله على شتى مجالاتها، فرحل إلى جرجان، والتحق فيها ببلاط أميرها قابوس بن وشمكير، الملقب بـ «شمس المعالي»، وكان بلاطه في تلك الحقبة يحفل بالعلماء الأعلام، ومنهم الشيخ الرئيس ابن سينا، الذي تعرف عليه البيروني واتصل به، وبهذا اتصلت بينهما الصداقة والتعاون في العلم والمناقشات، وعاش في جرجان فترة من حياته ومعلومة أن جرجان على بحر قزوين، وهي «مدينة حسنة على واد عظيم، وسهلة، وجبلية، وبحرية، وأودية هائلة، وجبال عالية، إذا غدا القناص راح بما اشتهى»، وثم لظروف بعينها اضطر البيروني

13- الشحات، علي أحمد، أبو الريحان البيروني: حياته - مؤلفاته - أبحاثه العلمية، القاهرة، دار المعارف، 1968م، 74

14- فيليب حتى، تاريخ العرب، دار الكشف للنشر والطباعة والتوزيع، 1951م، ص 402

15- أحمد حسن الزيات باشا (ت 1388هـ)، البيروني، مجلة الرسالة، المكتبة الشاملة، نسخة إلكترونية، العدد 4 - بتاريخ: 01 - 03 - 1933م

للمغادرة جرجان والانتقال إلى غزنة «أفغانستان»، وعلى الرغم من أن عصر البيروني عصر مضطرب اشتعلت فيه الفتن والصراعات إلا أن المرء ليذهل بما جمع من علماء أفذاذ وكانوا كثرة.

ثم اضطرت الظروف إلى العودة إلى خوارزم، عاد أبو الريحان البيروني في حوالي عام ٤٠٠ هـ / ١٠٠٠ م، عاد إلى مسقط رأسه، فانتبه إليه أميرها أبو العباس المأمون بن محمد خوارزم شاه، استخلصه لنفسه، وما إن جلس إليه إلا وأصبحت للبيروني الحظوة عند هذا الأمير وكانت حظوة ما بعدها حظوة، ومكانة وقدر الذي لا يدانيه قدر، إذ عرف الأمير المأمون البيروني للعالم فضله ومكانته في الحكمة والعلم، وهكذا اتخذته مستشاراً خاصاً في كل كبيرة وصغيرة، وأسكنه معه في قصره، وكان يدي له أعظم مظاهر العرفان والاحترام والتقدير. حكى ياقوت عن محمد بن محمود النيسابوري: إن أمير خوارزم شاه دخل قصره يوماً، وكان يركب على دابته، فأمر باستدعاء أبي الريحان من حجرته، ولما أبطأ عليه قليلاً تصور الأمير خوارزم شاه، الأمر على غير صورته، فثنى عنان فرسه نحو حجرة البيروني، ورام النزول، فسبقه أبو الريحان إلى الخروج، وناشده الله ألا يفعل، فتمثل خوارزم شاه مقولة: «العلم من أشرف الولايات، يأتيه كل الوري، ولا يأتي هو لأحد»، ثم قال: «لولا الرسوم الدنيوية لما استدعيتك، فالعلم يعلو ولا يعلى عليه»¹⁶.

وسرعان ما اضطربت الأمور، وقُتل الأمير خوارزم شاه المأمون، وعمت بعده الفوضى التي أدت إلى اضطراب الإمارة كلها، مما مكن السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي من الاستيلاء على خوارزم، فكان أبو الريحان البيروني من جملة الأسرى مع آخرين من العلماء، الذي اتهمهم السلطان محمود الغزنوي «وكان على عادة من التشدد في الدين»، اتهم هؤلاء العلماء بالكفر والزندقة، وأعمل في بعضهم السيف، ونجا البيروني، واستمر مع السلطان محمود الغزنوي، وهكذا دخل البيروني الهند مع هذا السلطان واصطحبه في فتوحاته في

16- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ)، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، 17 / 182 - 183، بتصرف

تلك البلاد التي استمرت إلى عام ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م، واستحق من أجلها لقب «الغازي»، ولعله أول من لقب بذلك في الإسلام، على حد قول بعض المؤرخين، وطالت إقامة البيروني في بلاط غزنة مع السلطان محمود، ثم خلفائه من بعده، وامتازت هذه الفترة بأنها كانت من أبرز فترات نشاطه العلمي، وأحفلها في غزارة الإنتاج. وبالفحص يتبين أن أبا الريحان البيروني بعد أن وصل إلى غزنة في الهند لم يغادرها، وظل منكبًا على القراءة، والبحث، والدرس، والتجربة، والتأليف، إلى أن توفاه الله «تعالى» في الثالث من شهر رجب عام ٤٤٠ هـ / ١٣ من ديسمبر ١٠٤٨ م، عن عمر يناهز ٧٨ عامًا.

وتاريخ وفاة البيروني مشهور بين مؤرخي العلم، ولاحظ بعض الباحثين كما لاحظ المستشرق «ماكس ماير هوف» أن البيروني ذكر في كتابه: «الصيدلة في الطب» -وهو آخر كتبه التي دونها- أنه نيف على الثمانين سنة، فإذا صح ميلاده سنة ٣٦٢ هـ، تعين أن يكون على قيد الحياة في عام ٤٤٢ هـ، وتكون وفاته في تلك السنة أو بعدها¹⁷. واتهم بالمانوية، وتؤكد السلطان محمود الغزنوي من برائته بنفسه، واتهم بالشيعة، وفحص المستشرق واط كل الاستدلالات وأثبت انتفاء تهمة الشيعة والمانوية عن البيروني¹⁸.

احتفل العالم بقيمة هذا العالم الجليل، ولم تقتصر الاحتفالات على بلد بعينها: روسيا، وإيران، وقازخستان، حتى الهند على سبيل المثال: أصدرت مجلدًا قيمًا بعنوان: «المجلد التذكاري للبيروني» نشر في مدينة «كلكتا» الهندية، احتوى على ٢١ بحثًا بمختلف اللغات: الإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والأردية في عام ١٩٥١ م، وقد ساهم في كتابة هذه البحوث العديد من كبار العلماء والمستشرقين، وتناولت هذه الأبحاث العلمية، إسهامات البيروني وأثره الكبير في مختلف العلوم: علم الهيئة «الفلك»، والجغرافيا الوصفية، والدراسات الهندية، وعلم حساب المثلثات، والجغرافيا الرياضية، يضاف إلى ذلك بعض إشارات إلى جهوده في علم مقارنة الأديان، فضلًا عن ترجمة حياة البيروني،

17- ماير هوف، مجلة المجمع العلمي المصري، مجلة حكمة، ص 138 وما بعدها .

18- Watt Montgomery, «Biruni and the study of non-islamic religions», 1973, P. 12.

وبيان مكانته المحترمة في تاريخ العلم بوجه عام ¹⁹.

المطلب الثاني: أهم أعماله.

تتنوع أعمال البيروني ومنجزاته العلمية البارزة، فقد وضع البيروني أساسات سديدة للعديد من العلوم الحديثة بفضل أبحاثه الدقيقة، ولعل أبرز إنجازاته الشهيرة: في علم الفلك، حيث أسس لعلم الفلك التجريبي، والجولوجيا حيث قام بحساب محيط الأرض بدقة متناهية تتقارب من القياسات الحديثة، وأثبت كروية الأرض ومن ثم دورانها حول محورها، وفي الرياضيات: برع في علم المثلثات وأدخل تحسينات كبيرة على حساباته، وابتكر طرقاً رياضية لقياس المسافات والأبعاد بين المدن، وفي الجغرافيا ورسم الخرائط: حدد خطوط الطول والعرض للعديد من المدن بدقة، وابتكر طرقاً لإسقاط الخرائط الكروية على أسطح مستوية، وفي الفيزياء: قام بحساب الكثافة النوعية للعديد من المعادن والأحجار الكريمة بدقة بالغة، وفي الصيدلة والطب: ألف كتابه الشهير «الصيدنة في الطب»، والذي يُعد مرجعاً مهماً استقصى فيه أسماء العقاقير وخصائصها وواجبات الصيدلاني، وكتب في التاريخ وعلم الإنسان.

زار الهند ومكث فيها لسنوات طويلة ودرس تاريخها، وعاداتها، ودياناتها، ووثق ذلك في كتابه العظيم «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة».

كان البيروني رياضياً وفلكياً وطبيباً ومؤرخاً وجغرافياً، وهو أبرز شخصية بين علماء عصره ²⁰ وهو من أوسع علماء الإسلام اطلاعاً على آداب الهند وعلومها، ويعترف سمث في الجزء الأول من كتابه «تاريخ الرياضيات» أن البيروني كان ألمع علماء زمانه في الرياضيات، وأن الغربيين مدينون لكتبه في معلوماتهم عن الهند وعلومها الرياضية. ومن أشهر كتبه أيضاً كتاب «الآثار الباقية عن القرون الخالية»، وهذا

19- جمال مرسي بدر، البيروني، دائرة معارف الشعب، العدد 82، سنة 1960 م

20- محمد عبد الحميد الحمد، مكانة البيروني في الحضارة العربية والعالمية، عالم المعرفة، الكويت، مارس 2002م، ص 99



الكتاب يبحث في ماهية الزمن، الشهر واليوم والسنة عند مختلف الأمم القديمة من آشوريين ويونانيين إلى وقت البيروني، وكذلك في التقاويم وما أصاب ذلك من التعديل والتغيير، وفيه جداول تفصيلية للأشهر الفارسية والعبرية والرومية والهندية والتركية، تبين كيفية استخراج التواريخ بعضها من بعض، وتجد فيه أيضًا جداول لملوك آشور وبابل والكلدان والقبط واليونان قبل النصرانية وبعدها، ولملوك الفرس قبل الإسلام على اختلاف طبقاتهم، ولم يقتصر الكتاب على ذلك بل بحث في المتنبئين وأممهم من أهل الأوثان وأهل البدع في الإسلام، وغير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بالأقباط وأعيادهم، وأعياد النصارى على اختلاف طوائفهم²¹. اشتهر البيروني طبيياً، وفلكياً، ورياضياً، وجغرافياً، ومؤرخاً، وعالمًا بالطبيعيات، ومقارنة الأديان، وكانت له بحوثًا جيدة في كل هذه العلوم، تؤكد ريادته وجدارته، فضلاً عن إسهاماته في الفلسفة، والعلوم اللغوية، والأدب، والشعر، والفقه. ولقد وصفه جورج سارتون بأنه «أحد أعظم علماء الإسلام، بل ومن أعظم علماء التاريخ على مر العصور»²².

ولئن كانت سعة الأفق والموسوعية طابع لكثير من علماء المسلمين في عصرهم الذهبي، إلا أن البيروني قد بزهم جميعاً في هذه الناحية، ليس فقط في تعدد فنون العلم التي تناولها بالبحث والدرس والتأليف، بل كذلك لمساهماته مساهمات بناءة وجادة في تقدم كل علم من تلك العلوم، وتطوره على وجه لا يتأتى إلا لعالم فذ، وأستاذ متعمق راسخ القدم في علمه.

وقد اشتهر البيروني بزهد واستغنائه عن الملوك والسلاطين، وعما لديهم، مما يروى، ما جرى له مع السلطان مسعود بن محمود الغزنوي، حين ألف له كتابه «القانون المسعودي في الهيئة والنجوم»، وهذا الكتاب محيط بجل علم الفلك من أوله لآخره، وقد انبهر به

21- البيروني، مجلة الرسالة، العدد 4 - بتاريخ: 01 - 03 - 1933م

22- G. Sarton, Introduction to the History of Science, Vol. 1 (Baltimore: Williams and Wilkins, 1931), p. 707.

السلطان، وقيمه وأجازه بحمل فيل من نقده الفضي، فلم يقبل البيروني تلك المكافأة السنوية التي تنتهي دون بعضها آمال كثيرين من الناس، وطالب برد الأموال إلى الخزانة، شاكراً للسلطان صنيعه، واعتذر بالاستغناء عن هذه الأموال²³.

وقد اشتهر البيروني بحرصه على العلم، يقول ياقوت: حدث الفقيه أبو الحسن علي بن عيسى الولوالجي، قال: دخلت على أبي الريحان وهو يجود بنفسه، قد حشرج نفسه، وضاق به صدره، - قد بلغ من العمر ٧٨ سنة -، فقال لي في تلك الحال: كيف قلت لي يوماً: حساب الجداول الفاسدة - وهي التي تكون من قبل الأم -؟ فقلت له إشفاقاً عليه: أفي هذه الحالة؟

قال لي: يا هذا! أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها، فأعدت ذلك عليه، وحفظ، وعلمني ما وعد، وخرجت من عنده وأنا في الطريق فسمعت الصراخ!²⁴

ذكر البعض أن النيسابوري هو الذي دخل على أبي الريحان البيروني، وهو يجود بنفسه (يحتضر)، وقد تحشرج نفسه، وضاق به صدره، فقال له في تلك الحال: كيف قلت لي يوماً حساب الجداول الفاسدة؟ فقال له إشفاقاً عليه: أفي هذه الحالة؟ قال له: يا هذا، أودع الدنيا، وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيراً من أن أخليها، وأنا جاهل بها!!²⁵

هكذا كان حرصه على العلم لم يترك دقيقة واحدة، يحتضر على فراش الموت، فلا يلهيه ما هو فيه عن العلم والمعرفة، ولا يدع زائره دون أن يسأله عن مسألة من مسائل علم المواريث، وعنده أن يودع الدنيا الفانية وهو عالم بتلك المسألة، خير من أن يموت وهو جاهل بها، فيشرحها له صاحبه، وما أن يخرج من عنده حتى ترتفع روحه إلى بارئها

23- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 17 / 181

24- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 17: 181-182

25- د. عمر بن سكا، نقد الأديان عند البيروني، الذي دخل على البيروني هو الفقيه أبو الحسن علي بن عيسى الولوالجي، وسأله عن الجداول ص 206. وذكر أنه استقاهها من الحموي، معجم الأدباء، ص 2331



مصنفاته

في سنة ١٠٣٦ ينهي فهرسا بأعماله حتى هذا التاريخ، فلا يشكل على أحد ويقول بلغة الواثق المتيقن من أهمية أعماله: ينبغي عليك أن تعلم فيما عدته من كتبي بما عملته في حادثي وازدادت المعرفة بفنه بعد ذلك فلم اطرحه أو استرذله فإنها جميعا أنبائي والاكثر بابنه وشعره المفتون، هذا الكتاب يبحث أكثر ما يبحث في تقاويم الأمم القديمة، وأعيادها، ومواسمها، وموازنة ذلك بما كان على عهد البيروني، وتتخلل هذا كله العديد من البحوث الفلكية، والرياضية، والفيزيائية المهمة²⁶.

وقال أبو الفضل البيهقي في كتابه تاريخ حكماء الإسلام، إن تصانيف البيروني قد زادت على حمل بعير²⁷ ثم يذكر أسماء الكتب التي اتفق لي عملها سنة ٤٢٧ للهجرة، وقد تم عمره ٦٥ سنة قمرية و ٦٣ سنة شمسية وتعرف أنه كتب ١٨٠ مصنفًا²⁸، ومعلوم أنه عاش حتى قارب الثمانين من عمره.

وله كتاب «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة» وقد ترجم إلى الإنجليزية عام ١٨٨٧م، وكتاب «مقاليد علم الهيئة وما يحدث في بسيط الكرة»، وفي هذا الكتاب بحث في شكل الظل اعترف فيه بأن: «الفضل في استنباط الشكل الظلي لأبي الوفاء بلا تنازع من غيره»، وقد كنا نشرنا هذا في مقالنا عن البوزجاني في مجلة «المقتطف». وله مؤلفات أخرى يربى عددها على المائة والعشرين، منها: كتاب «القانون المسعودي» في الهيئة والنجوم، وقد ألفه لمسعود بن محمود الغزنوي، وكتاب «استيعاب الوجوه الممكنة» في صناعة الإسطرلاب، وكتاب «استخراج الأوتار في الدائرة» بخواص الخط المنحني فيها، وهو مسائل هندسية أدخل فيها طريقته التي ابتكرها في حل بعض الأعمال، وكتاب «العمل بالإسطرلاب»،

26- سيد أشرف صالح، الآثار الباقية عن البيروني، دار النشر الإلكتروني، القاهرة، 2007، ص 17

27- البيهقي، ظهير الدين، تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كرد علي، المجمع العلمي العربي، دمشق، الطبعة الثانية، 1396هـ - 1976م، ص 21

28- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت 440هـ)، تحقيق ما للهند، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثانية، 1403 هـ، ص 9

و«مقالة التحليل والتقطيع للتعديل»، وكتاب «جمع الطرق السائرة في معرفة أوتار الدائرة»، وكتاب «جلاء الأذهان في زيج البتاني»، وكتاب «التطبيق إلى تحقيق حركة الشمس»، وكتاب «تحقيق منازل القمر»، و«تمهيد المستقر لتحقيق معنى الممر»، وكتاب «ترجمة ما في براهم سدهانه من طرق الحساب»، وكتاب «كيفية رسوم الهند في تعلم الحساب»، وكتاب «استشهاد باختلاف الأرصاد»، وقد ألفه البيروني لأن أهل الرصد عجزوا عن ضبط أجزاء الدائرة العظمى بأجزاء الدائرة الصغرى، وكتاب «الصيدلة» في الطب وقد استقصى فيه معرفة ماهيات الأدوية ومعرفة أسمائها واختلاف آراء المتقدمين فيها وما تكلم كل واحد من الأطباء وغيرهم فيه، وقد رتبته على حروف المعجم، وكتاب «الإرشاد في أحكام النجوم»، وكتاب «إفراد المقال في أمر الظلام»، وكتاب «تكميل زيج حبش بالعلل وتهذيب أعماله من الزلل»، وكتاب «الجماهر في معرفة الجواهر»، و«مقالة في نقل ضواحي الشكل القطاع إلى ما يغني عنه»، وكتاب «تكميل صناعة التسطيح»، وله كتاب «التفهيم لأوائل صناعة التنجيم»، وهذا الكتاب لم يطبع بعد ولا بد أن تكون بعض نسخ خطية منه موجودة في المكاتب الأوربية والمصرية، وهو لدينا في نسخة خطية نسخت منذ تسعين سنة عن نسخة قديمة، وهو يبحث في الهندسة والحساب والعدد ثم هيئة العالم ثم أحكام النجوم وذلك لأن الإنسان لا يستحق سمة التنجيم إلا باستيفاء هذه الفنون الأربعة، وقد ألفه على طريقة السؤال والجواب²⁹

وقد استأنف في عصرنا هذا حصر كتب أبي الريحان، ومؤلفاته الأب جاك بوالو الدومينيكي، فتتبعها في مظاهرها، ما بين مطبوع ومخطوط، وما بين موجود ومفقود، فخرج بقائمة بيبليوجرافية، تحوي (١٨٠) عنواناً، وذكر كل مؤلف منها مشيراً إلى موضوعه، وإلى مكانه إن كان مخطوطاً، وطباعته إن كان مطبوعاً. كما سرد المراجع التي تشير إلى كل كتاب منها أو تتناوله بالشرح أو الترجمة، أو التعليق.

29- الحمد، مكانة البيروني، عالم المعرفة، 2002م، ص98-102 بتصرف

وختم هذه الببليوجرافية الحافلة بجدول صنف فيها كتب أبي الريحان البيروني بحسب فنون العلم المختلفة التي تناولها، وحصر المخطوطات وأماكن وجودها...إلى غير ذلك من الجداول المفيدة المهمة للدارس والباحث³⁰.

وبجانب هذه الكتب التي قام بتأليفها، قام باختصار عدة كتب من مؤلفات سابقه، فقد اختصر كتاب بطليموس القلودي، وكتاب الإرشاد في أحكام النجوم، الاستشهاد باختلاف الأرصاد ذكره في الآثار الباقية، وقال: إن أهل الرصد عجزوا عن ضبط أجزاء الدائرة العظمى بأجزاء الدائرة الصغرى، فوضع هذا التأليف لإثبات هذا المدعي، وخص الأدب واللغة العربية بنصيب أيضًا، وله شرح على ديوان أبي تمام، وكتاب مختار الأشعار والآثار، ومن كتب الرحلة، وله كتاب نفيس في وصف بلاد الهند اشتهر باسم عجائب الهند وفيه الكثير من المعلومات الهندسية والفلكية المتعلقة بالجغرافية الرياضية ومذاهب الهنود ودياناتهم.

وله قصائد غراء بالعربية، منها قصيدة ذكر فيها من صحب من الملوك ثم قال:

ولما مضوا واعتضت عنهم عصابة دعوا بالتناسي فاغتتمت التناسيا
وخلفت في غزنين لحما كمضغة على وضم للطير للعلم ناسيا³¹
ونترك التعليق المجل لبوعناني: لكثرة إنتاجه وتنوعه، أبرز البيروني كواحد من بين أعظم العقول المفكرة في جميع العصور، فقد كان مفكرًا موسوعيًا، من خلال استعراض ترجمة حياته ورحلاته العلمية خلال مرحلة حياته الأولى في خوارزم حيث سافر إلى عدة مناطق في ما وراء النهر وفارس، ثم مرحلة حياته في غزنة بعد ضم إقليم خوارزم إلى السلطنة الغزنوية الفتية، حيث كان معيّنًا ومرشدًا جغرافيًا للسلطان محمود الغزنوي وخلفائه مسعود، ومودود، هذه الحياة الحافلة بالإنجازات العلمية أثرها في تكوينه وفكره الموسوعي

30- طبع هذا الدليل القيم باللغة الفرنسية ضمن مجموعة معهد الدراسات الشرقية للأبء الدومنيكين، بالقاهرة سنة 1955 م، وشغل من تلك المجموعة نيفاً وتسعين صفحة، من صفحة 161، إلى صفحة 256

31- الحموي، معجم البلدان، 70/1

حتى عرف عصره بعصر البيروني حسب الكثير العلماء الغربيين والمستشرقين على رأسهم ناشر ومحقق ومترجم تراثه المستشرق الألماني إدوارد ساخاو، ومؤرخ العلوم جورج سارتون والمستشرق الروسي كراتشكوفسكي، معتبرين البيروني أعظم عبقرية وعقلية في زمانه، ويكفي أنه ألف في أمهات العلوم موسوعات متخصصة عرفت منها (تحقيق ما للهند) و(الآثار الباقية عن القرون الخالية) و(القانون المسعودي) و(الجماهر في معرفة الجواهر) و(الصيدنة في الطب) وغيرها، فعقل البيروني شأن العقول العظيمة، مظهرًا للشمول، لا يتقيد بزمن، ولا يمكن بدونه أن يكتمل أي تاريخ لأي علم، رياضيات كان أم فلك، جغرافية كان أم علم الإنسان، أو مقارنة للأديان. وإن ما كتبه منذ ألف سنة، ليسبق به كثيرًا من المناهج والمواقف العقلية التي يفترض أنها حديثة. وقد كانت شجاعة البيروني الفكرية، ودبه للاطلاع العلمي، واستشراف الحقيقة، وبعده عن الوهم، وتسامحه، وإخلاصه لعمله وعلمه، صفات جعلته عبقرًا مبدعًا، ذا بصيرة شاملة³².

32- محمد شافع بوعناني، «أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت. 440 هـ / 1048م): حياته ورحلاته العلمية وأثرها في فكره الموسوعي»، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشرة- العدد التاسع والأربعون: سبتمبر 2020، ص 72 - 93.



المبحث الثاني: كتاب الهند

وفيه مطلبان:

كان علم الدين المقارن في زمن البيروني في القرن الرابع الميلادي يتخذ ثلاثة أشكال رئيسة:

a. الحوارات

b. الرسائل

c. رحلات أو سرديات الرحلات

واعتمد البيروني في تحقيقه على أساليب الرحلة التحليلية.³³

نبدأ بمنهج البيروني في مقارنة الأديان، لقد وضع البيروني معايير صارمة لدراسة الدين ما زالت أسس ثابتة حتى اليوم في علم مقارنة الأديان والأنثروبولوجيا، وتتلخص فيما يلي:

1- الأمانة في النقل:

حتى لا يتهم البيروني بتشويه أو تحريف معتقدات الآخرين، أثر النقل الأمين، وعبر عن ذلك بقوله: «إن حكاية الكفر ليس كفرًا»، فناقل الكفر ليس بكافر.

2- التجرد والموضوعية:

حرص البيروني على عزل آرائه الشخصية وعقيدته الإسلامية عند استعراض أديان الأمم الأخرى، مثل الهندوسية والزرادشتية وذلك لضمان نزاهة البحث.

3- البحث الميداني:

اعتمد على تعلم اللغات الأصلية، مثل السنسكريتية لقراءة نصوصهم المقدسة بلغاتها، دون الرجوع لترجمة، فضلاً عن التواصل مع علمائهم مباشرة.

4- المنهج المقارن:

عمد البيروني إلى إيجاد نقاط التقاء بين الأديان المختلفة والفلسفات المتعددة، كفلسفة اليونان والهند، وذلك لبيان القواسم المشتركة.

33- Kamar Oniah Kamaruzamān, Early Muslim scholarship in religionswissenschaft, p26-24.

أبرز إسهاماته وكتبه سجّل البيروني أبحاثه الرائدة في كتابه الموسوعي الأشهر: «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» (المعروف بكتاب الهند)، ويُعد هذا الكتاب أوسع وأدق عمل كُتب في أديان الهند، ووصف عقائد الهندوس، وشرائعهم، وفلسفاتهم، وأعيادهم بحياد تام.

المطلب الأول: وصف الكتاب.

بدايةً يجب الإشارة إلى أن النسخة الأصلية من كتاب «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة»، والتي وضعها البيروني بنفسه عام ٥٤٢٣ هـ، وتضم حوالي سبعمائة صفحة قد ضاعت، ولعل أقدم نسخة خطية تعود إلى عام ٥٥٤ هـ، أي بعد حوالي مائة وتسعة وعشرين عامًا³⁴، أما فيما يتعلق بالمطبوع من كتاب البيروني، هناك ثلاثة طبعات على الترتيب التالي:

1. الطبعة المحققة بليتزج بعناية المستشرق الألماني إدوارد شاخو Sachau - عام ١٨٧٨ م، بعد أن اطلع على النسخ الخطية الموجودة له كافة، مقدّمًا للكتاب بمقدمة منهجية وعامة في غاية الفائدة، ولعله يكون الوحيد الذي عمل على تحقيق الكتاب.

2. الكتاب طبع للمرة الثانية بالهند التي احتفت بذكرى البيروني، وهي طبعة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الهند عام ١٩٥٨ م

3. أما الطبعة الأخيرة المتوفرة للكتاب والمنتشرة على نطاق واسع فهي طبعة بيروت من مطبعة عالم الكتب، عام ٢٠١١ م³⁵. وقال فيه آدم متز: «وفي أوائل القرن الخامس الهجري ألف أبو الريحان البيروني كتابه المسمى «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة»، وجعله كتاب حكاية لمذاهب الهند على وجهها، لا كتاب حجاج وجدال، ولذلك لم يناقض الخصوم، ولم

34- عكاوي، رحاب، أبو الريحان البيروني أعظم عقلية عرفها التاريخ. دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، 1998، ص: 104

35- عمر بن سكا، نقد البيروني للأديان، ص153



يتخرج من حكاية كلامهم، وإن باين الحق، فكان هذا الكتاب كتاب بحث علمي نزيه³⁶»

وقد كتبه البيروني بعد أن أمضى أربعين سنة في الهند³⁷. يبدو من خلال ما صرّح به البيروني في مقدمة كتابه، أنه كتب هذا الكتاب استجابة لطلب أستاذه أبي العباس الإيرانشهری، حتّى يصحّح ما وقع فيه أستاذه من أخطاء بسبب نقله لروايات العوام، ما وجد أحدًا من غير ميل ولا مدهانة سوى أبي العباس الإيرانشهری، يقول البيروني: «وحيث بلغ فرقة الهند والشميّة «يقصد الإيرانشهری» صاف سهمه عن الهدف وطاش في آخره إلى كتاب زرقان ونقل ما فيه إلى كتابه، وما لم ينقل منه فكأنه مسموع من عوامّ هاتين الطائفتين، ولما أعاد الأستاذ أيّده الله مطالعة الكتب ووجد الأمر فيها على الصّورة المتقدّمة حرّص على تحرير ما عرفته من جهتهم ليكون نصرة لمن أراد مناقضتهم وذخيرة لمن رام مخالطتهم، وسأل ذلك ففعلته غير باهت على الخصم ولا متحرّج عن حكاية كلامه³⁸. وللكتاب أهمية كبيرة، واشتهر عند علماء الأديان كواحد من أهم الكتب في علم الدين المقارن، وحظي باهتمام الباحثين والدارسين، وخاصة الغربيين منهم، والذين أثنوا عليه، وأشادوا بقيمته العلمية، فقد وصفه المستشرق الروسي روزين بأنه «أثر فريد في باب، لا مثيل له في الأدب العلمي القديم أو الوسيط، سواء في الغرب أو في الشرق³⁹»

بدأ الكتاب بوصف أديان الهند، افتتح البيروني الحديث عن تناسخ الأرواح في المعتقد الهندوسي قائلًا كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والإشبّات علامة اليهودية، كذلك التناسخ عَلم النحلة الهندية، فمن لم ينتجْ له لم يكُ

36- البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، ص 45

37- د. أحمد سعيد الدمرداش، أبو الريحان البيروني، سلسلة علماء الإسلام، دار المعارف، د.ن، ص. 2.

38- البيروني، تحقيق ما للهند 2011، ص 1

39- المصدر السابق، ص 44

منها ولم يُعَدَّ⁴⁰ فعزّفه بذلك مبيّناً أن الهندوس يعتقدون بأن الأرواح خالدة لا تفنى.

فمن الفصل الأول إلى الحادي عشر النقاش بين الديانة البراهميّة، وقضية التوحيد والشرك في الديانة الهندوسية، ثم تناول تناسخ الأرواح، ونظام الطبقات في المجتمع الهندي، وعرج على عبادة الأصنام الشائعة في الهند، ومن الفصل الثاني عشر إلى الفصل السادس عشر يعرض البيروني أبرز مصادر «الفيدات» والكتب الدينية المقدسة، وركز على البراهميّة إضافة إلى «الشَمَنِيّة» وهي الديانة البوذية، والتي لم يكن لها نصيب كبير، لأنه لم يك لها أهمية كبرى على عهد البيروني.

لقد قسم البيروني كتابه إلى ثمانين فصلاً، جُلّها حول معتقدات الهنود ولم يكتف بذلك بل عرج على معارفهم علومهم في الفلك والجغرافيا والتنجيم والتقويم والتواريخ المعتمدة عند البراهمة، وأنظمتهم الاجتماعية والسياسية، وعاداتهم وتقاليدهم الدينية، فضلاً عن فصول أخرى فيها وصفٌ دقيق لجغرافية الهند وتركيباتها العرقية والدينية⁴¹، وبالفحص تبين أن ١٦ فصلاً من ثمانين فصلاً تناولت الدين، يعني مثل الدين في الكتاب خمس الكتاب أي بنسبة ٢٠٪.

المطلب الثاني: أديان الهند.

أولاً: عقيدة الهنود.

أ- ذكر اعتقادهم في الله «سبحانه وتعالى»

لاحظ البيروني اعتقاد الخاصّ والعامّ في كلّ أمة بسبب أنّ طباع الخاصّة ينافع المعقول ويقصد التحقيق في الأصول، وطباع العامة يقف عند المحسوس ويقتنع بالفروع ولا يروم التدقيق وخاصّة فيما افتتت فيه الآراء ولم يتّفق عليه الأهواء؛ واعتقاد الهند في الله سبحانه

40- المصدر السابق، ص: 39

41- المصدر السابق، ص 42



أنه الواحد الأزلي، من غير ابتداء ولا انتهاء المختار في فعله القادر الحكيم الحيّ المحيي المدبّر المبقّي الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء؛ ولنورد في ذلك شيئاً من كتبهم لئلا تكون حكايتنا كالشيء المسموع فقط، قال السائل في كتاب «باتنجل»: من هذا المعبود الذي ينال التوفيق بعبادته؟ قال المجيب: هو المستغني بأولّيته ووجدانيّته عن فعل لمكافأة عليه براحة تؤمّل وترتجى أو شدة تخاف وتتقي، والبريء عن الأفكار لتعالیه عن الأضداد المكروهة والأنداد المحبوبة، والعالم بذاته سرمداً إذ العلم الطارئ يكون لما لم يكن بمعلوم وليس الجهل بمتّجه عليه في وقت ما أو حال؛ ثمّ يقول السائل بعد ذلك: فهل له من الصفات غير ما ذكرت؟ ويقول المجيب: له العلوّ التامّ في القدر لا المكان فإنّه يجلّ عن التمكن، وهو الخير المحض التامّ الذي يشتاقه كلّ موجود، وهو العلم الخالص⁴².

ينقل لنا البيروني حواراً في غاية الحكمة، بين حكيم وسائل حول الماهية الإلهية كما يتصورها حكماء الهنود، وأنها بعيدة كل البعد عن دنس السهو والجهل.

قال السائل: أفصفه بالكلام أم لا؟

قال المجيب: إذا كان عالماً فهو لا محالة متكلم.

قال السائل: فإن كان متكلماً لأجل علمه فما الفرق بينه وبين العلماء الحكماء الذين تكلموا من أجل علومهم؟ قال المجيب: الفرق بينهم هو الزمان فإنهم تعلّموا فيه وتكلّموا بعد أن لم يكونوا عالمين ولا متكلمين ونقلوا بالكلام علومهم إلى غيرهم فكلامهم وإفادتهم في زمان، وإذ ليس للأمور الإلهية بالزمان اتّصال فالله «سبحانه» عالم متكلم في الأزل، وهو الذي كلّم «براهم» وغيره من الأوائل على أنحاء شتى، فمنهم من ألقى إليه كتاباً ومنهم من فتح لواسطة إليه باباً ومنهم من أوحى إليه فنال بالفكر ما أفاض عليه.

قال السائل: فمن أين له هذا العلم؟

قال المجيب: علمه على حاله في الأزل، وإذ لم يجهل قطّ فذاته

42- المصدر السابق، ص23

عالمة لم تكتسب علما لم يكن له، كما قال في «بيذ» الذي أنزله على براهيم: احمدا وامدحوا من تكلم ببيذ وكان قبل بيذ.

قال السائل: كيف تعبد من لم يلحقه الإحساس؟

قال المجيب: تسميته تثبت إنَّيته فالخبر لا يكون إلا عن شيء والاسم لا يكون إلا لمسمًى، وهو وإن غاب عن الحواس فلم تدركه فقد عقلته النفس وأحاطت بصفاته الفكرة وهذه هي عبادته الخالصة وبالمواظبة عليها ينال السعادة.

ثم يعلق البيروني على هذا الحوار قائلاً: فهذا كلامهم في هذا الكتاب المشهور. وفي كتاب «كيتا» وهو جزء من كتاب «بهارت» فيما جرى بين «باسديو» وبين «آرجن»: «إني أنا الكل من غير مبدأ بولادة أو «ف» منتهى بوفاة، لا أقصد بفعلي مكافأة ولا اختص بطبقة دون أخرى لصدقة أو عداوة، قد أعطيت كلاً من خلقي حاجته في فعله، فمن عرفني بهذه الصفة وتشبّه بي في إبعاد الطمع عن العمل انحل وثاقه وسهل خلاصه، وعتاقه، وهذا كما قيل في حدّ الفلسفة: إنّها التقيّل بالله ما أمكن، وقال في هذا الكتاب: أكثر الناس يلجئهم الطمع في الحاجات إلى الله، وإذا حققت الأمر لديهم وجدتهم من معرفته في مكان سحيق

لأن الله ليس بظاهر لكل أحد يدركه بحواسّه فلذلك جهلوه؛ فمنهم من لم يتجاوز فيه المحسوسات، ومنهم من إذا تجاوزها وقف عند المطبوعات، ولم يعرفوا أنّ فوقها من لم يلد ولم يولد ولم يحط بغير «ا» إنَّيته علم أحد وهو المحيط بكل شيء علماً. ويختلف كلام الهند في معنى الفعل فمن أضافه إليه كان من جهة السبب الأعمّ لأنّ قوام الفاعلين إذا كان به كان هو سبب فعلهم فهو فعله بوساطتهم، ومن أضافه إلى غيره فمن جهة الوجود الأدنى⁴³.

مبدأ عبادة الأصنام وكيفية المنصوبات

شدد البيروني وفرق بين العالم والعامّة من الناس، وببر ظهور الأصنام بطريقة تدل على عمقّة بمعرفة باطن الأمور، يقول

43- المصدر السابق، ص 24-25



البيروني: معلوم أنَّ طباع العاقبي نازعة إلى المحسوس نافرة عن المعقول الذي لا يعقله إلاّ العالمون الموصوفون في كل زمان ومكان بالقلّة، ولسكونه إلى المثال عدل كثير من أهل الملل إلى التصوير في الكتب والهيكل كاليهود والنصارى، وناهيك شاهداً على ما قلته: أنك لو أبديت صورة النبي «صلى الله عليه وسلم» أو مكّة والكعبة لعاقبي أو امرأة لوجدت من نتيجة الاستبشار فيه دواعي التقبيل وتعفير الخدين والتمرّغ كأنه شاهد المصوّر وقضى بذلك مناسك الحج والعمرة، وهذا هو السبب الباعث على إيجاد الأصنام بأسماء الأشخاص المعظمة من الأنبياء والعلماء والملائكة مذكّرة أمرهم عند الغيبة والموت مبقية آثار تعظيمهم في القلوب لدى الفوت إلى أن طال العهد بعاملها ودارت القرون والأحقاب عليها ونسيت أسبابها ودواعيها وصارت رسماً وسنة مستعملة، ثم داخلهم اصحاب النواميس من بابها إذ كان ذلك أشدّ انطباعاً فيهم فأوجبوه عليهم وهكذا وردت الأخبار⁴⁴.

ب- اعتقادهم في الناس:

ويتعلق هذا الموضوع بمعتقدات أهل الهند - الهندوس - عموماً وفلسفتهم الدينية، فيقول البيروني: «يعتقدون في الأرض أنها أرضهم، وفي الناس أنهم جنسهم، وفي الملوك أنهم رؤسائهم، وفي الدين أنه نحلّتهم، وفي العلم أنه ما معهم ... حتى أنهم إن حدّثوا بعلم أو عالم في خراسان وفارس، استجهلوا المخبر ولم يصدّقوه للآفة المذكورة»، والسبب في اعتبار الهنود غيرهم أنجاساً يعود كما يرى البيروني، لقتلهم البقرة، وذبحها وأكلهم للحمها.

ج- اعتقادهم في النظام الطبقي:

يقسم الهنود الخلائق إلى أجناس ثلاثة طبقاً لما ورد في كتبهم: الروحانيون في الأعلى، والناس في الوسط، والحيوانات في الأسفل.

د- اعتقادهم في التناسخ أو تجوال الروح والخلص.

يشرح البيروني عقيدة التناسخ بالتفصيل، ولفهم هذه العقيدة تناول البيروني علاقة النفس الإنسانية بجسدها، وعرض لآراء الهنود فيها،

فهم قد أدركوا الاختلاف الجوهرى بين طبيعة النفس الإنسانية، وطبيعة الجسد القائمة به أو الممتزجة معه، وبنا الهندوس عقيدة التناسخ على معتقدتهم في مسألة الشر وعقابه، وهي من اعقد القضايا في تاريخ ومقارنة الأديان. كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين والتثليث علامة النصرانية والإسبات علامة اليهودية كذلك التناسخ علم النحلة الهندية فمن لم ينتحله لم يك منها ولم يعد من جملتها فإنهم قالوا: إن النفس إذا لم تكن عاقلة لم تحط بالمطلوب إحاطة كلية دفعة بلا زمان واحتاجت إلى تتبع الجزئيات واستقراء الممكنات وهي وإن كانت متناهية فلعددتها المتناهي كثرة والإتيان على الكثرة مضطر إلى مدة ذات فسحة ولهذا لا يحصل العلم للنفس إلا بمشاهدة الأشخاص والأنواع وما يتناوبها من الأفعال والأحوال حتى يحصل لها في كل واحد تجربة وتستفيد بها جديد معرفة، ولكن الأفعال مختلفة بسبب القوى وليس العالم بمعطل عن التدبير وإنما هو مزموم وإلى غرض فيه مندوب فالأرواح الباقية تتردد لذلك في الأبدان البالية بحسب افتتان الأفعال إلى الخير والشر ليكون التردد في الثواب منبها على الخير فتحرص على الاستكثار منه وفي العقاب على الشر والمكروه فتبالغ في التباعده عنه ويصير التردد من الأذى إلى الأفضل دون عكسه لأنه يحتمل كليهما ويقتضي اختلاف المراتب فيهما لاختلاف الأفاعيل بتباين الأمزجة ومقادير الازدواجات في الكمية والكيفية، فهذا هو التناسخ إلى أن يحصل من كلتي جنبتي النفس والمادة كمال الغرض أما من جهة السفلى ففناء ما عند المادة من الصورة إلا لإعادة المرغوب عنها وأما من جهة العلو فذهاب شوق النفس بعلمها ما لم تعلم⁴⁵.

وقال بعض من مال إلى التناسخ من المتكلمين: إنه على أربع مراتب هي النسخ وهو التوالد بين الناس لأنه ينسخ من شخص إلى آخر، وضده المسخ ويخص الناس بأن يمسخوا قردة وخنازير وفيلة، والرسخ كالنبات وهو أشد من النسخ لأنه يرسخ ويبقى على الأيام

ويدوم كالجبال؛ وضدّه الفسخ وهو للنبات المقطوف والمذبوحات لأنها تتلاشى ولا تعقب⁴⁶.

ثالثاً: الشعائر والطقوس:

لا يكتف البيروني في مباحث الطقوس والاحتفالات بوصفها فقط، كما هي دون تعليق، فهو عادة لا يفرق بين ممارسات الطبقات المختلفة، لكنه لا يتضمن شرحاً موجزاً في بعض الأحيان في حديثه عن الطقوس والشعائر، وأحياناً أخرى يقوم بإلقاء الضوء على الأحداث الرئيسية، والتقاط أجواء تلك الشعائر والطقوس.

ثم يتحدث عن القرابين، ويرى البيروني أهمية كبيرة للنار من خلال تقديس الهندوس لها، ثم يتناول البيروني موضوع الصوم عند الهندوس، وأن الصوم عندهم ليس بفرض، ولكنه من قبيل التطوع، وعندهم أنواع من الصوم، مقاصد الصوم مختلفة، أما عن الحج عند الهندوس، فهو ليس من الفرائض، وإنما هو من قبيل التطوع والنوافل، وعرج البيروني على الصدقة عند الهندوس وأكد بأنها أهم من الحج، لأن الصدقة فريضة، ويجب على الهندوس إخراجها كل يوم.

الأعياد والأيام المقدسة:

تناول البيروني الأعياد والأيام المقدسة عند الهندوس، وأن الاحتفالات تختلف من عيد إلى آخر، فبعض الأعياد تكون لتعظيم الآلهة، وبعضها للاحتفال بأحداث تاريخية معينة، والبعض الآخر مرتبط بالمواسم والفصول، والأخير مرتبط بالأحداث والأجرام السماوية.

من خلال ما سبق يتضح لنا بأن البيروني نجح في وصف أديانهم واحتفالاتهم، وهذا بسبب أن البيروني عاين هذه الاحتفالات شخصياً وربما دعي إليها، أو لعلها احتفالات مفتوحة، ولعل البيروني استقى معلوماته من خلال مناقشات مع رجال الدين عندهم، لقد استطاع أن يفهم الديانة الهندوسية بصورة واضحة.

لم يكتف البيروني بكتاب واحد، ينقل لنا من كتاب «سانك» حوار بين

46- المصدر السابق، ص 47-48

الناسك والحكيم

قال الناسك: هل اختلف في الفعل والفاعل أم لا؟

قال الحكيم: قد قال قوم إن النفس غير فاعلة والمادة غير حيّة، فالله المستغني هو الذي يجمع بينهما ويفرق فهو الفاعل والفعل واقع من جهته بتحريكهما كما يحرك الحيّ القادر الموات العاجز؛ وقال آخرون: إن اجتماعهما بالطباع فهكذا جرت العادة في كل ناش بال، وقال آخرون: الفاعل هو النفس لأنّ في «بيذ» أنّ كلّ موجود فهو من «پورش» وقال آخرون: الفاعل هو الزمان فإنّ العالم مربوط به رباط الشاة بحبل مشدود بها حتى تكون حركتها بحسب انجذابه واسترخائه، وقال آخرون: ليس الفعل سوى المكافاة على العمل المتقدّم؛ وكلّ هذه الآراء منحرفة عن الصواب وإنّما الحقّ فيه أنّ الفعل كلّهُ للمادة لأنّها هي التي تربط وتردّد في الصور وتخلّي فهي الفاعلة وسائر ما تحتها أعوان لها على إكمال الفعل، ولخلو النفس عن القوى المختلفة هي غير فاعلة.

ويختم البيروني بقوله «فهذا قول خواصّهم في الله تعالى ويسمّونه «ايشفر» أي المستغني الجواد الذي يعطي ولا يأخذ لأنهم رأوا وحدته هي المحضة ووحدته ما سواه بوجه من الوجوه متكررة ورأوا وجوده حقيقيّاً لأنّ قوام الموجودات به ولا يمتنع توهم ليس فيها مع «أيس» «٣» فيه كما يمتنع توهم ليس فيه مع «أيس» فيها، ثمّ إن تجاوزنا طبقة الخواصّ من الهند إلى عوامّهم اختلفت الأقاويل عندهم وربّما سمجت كما يوجد مثله في سائر الملل بل وفي الإسلام من التشبيه والإجبار وتحريم النظر في شيء وأمثال ذلك ويوجب «ا» التهذّب «ا»، مثاله أنّ بعض خواصّهم يسمي الله تعالى «نقطة» ليرئيه بها عن صفات الأجسام، ثمّ يطالع ذلك عامّيهم فيظنّ أنّه عظمه بالتصغير ولا يبلغ به فهمه إلى تحقيق النقطة فيتجاوز سماجة التشبيه والتحديد بالتعظيم إلى قوله: إنّهُ يطول اثني عشر إصبعا في عرض عشر أصابع تعالى عن التحديد والتعديد، ومثل ما حكيناه من إحاطته بالكل حتى لا يخفى عليه خافية فيظنّ عامّيهم أنّ الإحاطة تكون بالبصر والبصر بالعين والعينان أفضل من



الغور فيصفه بألف عين عبارة عن كمال العلم؛ وأمثال هذه الخرافات الشنعة عندهم موجودة وخاصّة في الطبقات التي لم يسوِّغ لهم تعاطي العلم على ما يجيء ذكرهم في موضعه⁴⁷.

ج- في ذكر اعتقادهم في الموجودات العقلية والحسية

- «وَحَقِيقَ عَلَيْنَا أَنْ نورد من كتبهم شيئاً من صريح كلامهم في هذا الباب وما يشبهه من كلام غيرهم فيه»⁴⁸

استخدم البيروني المنهج الفينومينولوجي «أو الظاهراتي»

هـ- في حال الأرواح وتردّدها بالتناسخ في العالم

و- في ذكر المجامع ومواضع الجزاء من الجنة و جهنم

المجمع يسمّى «لوك» والعالم ينقسم قسمة أوليّة إلى علوّ وسفل وواسطة فيسمّى العالم الأعلى «سفر لوك» وهو الجنة والعالم الأسفل «ناكلوك» أي مجمع الحيات وهو جهنّم ويسمّى أيضاً «نزلوك» وربّما سمّوه «پاتال» أي أسفل الأرضين، وأمّا الأوسط الذي نحن فيه فيسمّى «مات لوك» و «مانش لوك» أي مجمع الناس وهو للاكتساب والأعلى للثواب والأسفل للعقاب فيهما يستوفي جزاء العمل من استحقّهما مدّة مضروبة بحسب مدّة العمل والكون في كلّ واحد منهما للروح وحده مجرّدة عن البدن، وللقاصر عن السموّ إلى الجنة أو الرسوب إلى جهنّم لوك آخر يسمّى «ترجكلوك» وهو النبات والحيوان غير الناطق يتردّد الروح في أشخاصها بالتناسخ إلى أن تنتقل إلى الإنس على تدريج من أدون مراتب النامية إلى عليا مراتب الحساسة، وكونها فيه على أحد وجهين إمّا لقصور مقدار المكافأة عن محلّ الثواب والعقاب وإمّا لرجوعها من جهنّم، فعندهم أنّ العائد إلى الدنيا متأنّس في أوّل حالته والعائد إليها من جهنّم متردّد في النبات والحيوان إلى أن يبلغ مرتبة الإنسان؛ وهم من جهة الأخبار يكثرّون عدد جهنّمات وصفاتها وأساميها ويفردون لكلّ ذنب منها محلاً، وقيل في «بشن پاران»⁴⁹.

47- المصدر السابق، ص 25-26

48- المصدر السابق، ص 69

49- المصدر السابق، ص 45

وجهنم ليست مكانًا واحدًا، وإنما أماكن حسبًا للعقوبة: المدّعي بالكذب وشاهد الزور والمعاون لهما والمستهزئ بالناس يصيرون إلى «رورو»، وسافك الدم بغير حقٍّ وغاصب حقوق الناس والمغير عليهم وقاتل البقر يصيرون إلى «روده» منها، وقاتل البرهمن وسارق الذهب، والأمرء الذين لا ينظرون لرعاياهم، ومن يزني بأهل أستاذه أو يضاجع صهرته يصيرون إلى «سبّت كنب»، والديوث الذي يتغاضى عن فاحشة زوجته طمعًا والذي يزني بابنته أو زوجة ابنه أو يبيع ولده أو يخل على نفسه بما يملك فلا ينفقه يصيرون إلى «مهاجال»، والذي يردّ على أستاذه ولا يرضى به ويستخفّ بالناس والذي يأتي البهائم والذي يستهين ب«بيذ» والپرانات أو يكتسب بها في الأسواق يصيرون إلى «شول» والسارق والمحتال والمخالف طريقة الناس المستقيمة، والذي يبغض أباه ولا يحبّ الله والناس والذي لا يكرم الجواهر التي عزّزها الله، ويسوى بينها وبين سائر الأحجار يصيرون إلى «كرمش»، الذي لا يعظّم حقوق الآباء والأجداد ولا يوجب للملائكة والذي يعمل السهام والنصول يصيرون إلى «لارپكش»، وصانع السيف والسكّين يصير إلى «بشسن»، والذي يخفي ما يملك طمعًا في صلات الولاة والبرهمن، إذا باع لحماً أو دهناً أو سمناً أو صبغاً أو خمراً يصيرون إلى «أذومك» والذي يسقّن الدواجن والأغنام والخنازير والطير يصير إلى «ردهراند»، وأصحاب الملاعب ومنشدو الشعر في الأسواق وحافرو الآبار للاستقاء ومن يجمع امرأته في الأيام المعظّمة والذي يرمي بيوت الناس بالنار والذي يغدر برفيقه فيقتله طمعاً في ماله يذهبون إلى «رودر»، والذي يغش العسل يصير إلى «يترن»، وغاصب الأموال والنساء بسكر شبابه يصير إلى «كرشن»، وقاطع الأشجار يصير إلى «أسپترين»، والصيّاد وعامل الفخاخ والحبائل يصير إلى «بهنجال»، ومهمّل الرسوم والسنن ومبطل الشرائع وهو شرّهم يصير إلى «سندنشك»⁵⁰.

والأرواح عندما تفارق البدن هيّ لها من العناصر بدن يسمّى «آت باهك» وتفسيره «الكائن بسرعة»، لأنّه لا يحصل على وجه الولاد



فيكون فيه سنة جرداء في أشدّ شدة سواء كان مثاباً أو كان معاقباً فهو كالبرزخ بين الكسب وبين نيل الأجر، ولذلك يقيم وارث الميّت عندهم رسوم السنة على الميّت ولا تنقضي إلا بانقضائها لأنّ الروح تذهب حينئذ إلى المحلّ المعدّ لها.

ويستشهد البيروني: «ونحن نذكر هاهنا أيضاً من كتبهم ما يصرّح بهذه المعاني، ففي «بشن پران»: إن «ميتري» سأل «پراشر» عن العرض في جهنّم والعقاب به؟ فأجابه بأنّ ذلك لتمييز الخير من الشرّ والعلم من الجهل وإظهار العدل، وما كلّ مذنّب يدخل جهنّم فإنّ منهم من ينجو بتقديم التوبة والكفّارات وعظماها التزام ذكر «بشن» في كلّ عمل، ومنهم من يتردّد في النبات وخشاش الطير ومرذول الهوامّ وقذرهما من القمل والحدود إلى مدّة الاستحقاق؛ وفي كتاب «سانك»: أمّا من استحقّ الاعتلاء والثواب فإنّه يصير كأحد الملائكة مخالطاً للمجامع الروحانيّة غير محجوب عن التصرّف في السماوات والكون مع أهلها أو كأحد أجناس الروحانيّين الثمانية، وأمّا من استحقّ السفول بالأوزار والآثام فإنّه يصير حيواناً أو نباتاً ويتردّد إلى أن يستحقّ ثواباً فينحو من الشدّة أو يعقل ذاته فيخلّي مركبة ويتخلّص⁵¹.

ز- في كيفيّة الخلاص من الدنيا وصفة الطريق المؤدّي إليه

ويستشهد البيروني: قال صاحب كتاب «پاتنجل»: أفراد الفكرة في وحدانيّة الله يشغل المرء بالشعور بشيء غير ما اشتغل به، ومن أراد الله أراد الخير لكافة الخلق من غير استثناء واحد بسبب، ومن اشتغل بنفسه عمّا سواها لم يصنع لها نفساً مجذوبا ولا مرسلًا، ومن بلغ هذه الغاية غلبت قوّته النفسية على قوّته البدنية فمنح الاقتدار على ثمانية أشياء بحصولها يقع الاستغناء، فمحال ان يستغني أحد عمّا يعجزه، واحد تلك الثمانية التمكنّ من تلطيف البدن حتى يخفى عن الأعين، والثاني التمكنّ من تخفيفه حتى يستوي عنده وطىء الشوك والوحل والتراب، والثالث التمكنّ من تعظيمه حتى يريه في صورة هائلة عجيبة، والرابع التمكنّ من الإرادات، والخامس التمكنّ من علم ما يروم، والسادس التمكنّ من التروّس على أيّة

فرقة طلب، والسابع خضوع المرؤوسين وطاعتهم، والثامن انطواء المسافات بينه وبين المقاصد الشاسعة، وإلى مثل هذا إشارات الصوفيّة في العارف إذا وصل إلى مقام المعرفة، فإنّهم يزعمون أنّه يحصل له روحان، قديمة لا يجري عليها تغيّر واختلاف بها يعلم الغيب ويفعل المعجز، وأخرى بشرية للتغيّر والتكوين؛ ولا يبعد عن مثله أقاويل النصارى: قالت الهند: فإذا قدر على ذلك استغنى عنه وتدرّج إلى المطلوب في مراتب، أولها معرفة الأشياء أسما وصفة وتفاصيل غير معطية للحدود، والثانية تجاوز ذلك إلى الحدود الجاعلة جزئيات الأشياء كليّة، إلاّ أنّه لا تخلو فيها من التفصيل، والثالثة زوال ذلك التفصيل والإحاطة بها متّحدة، ولكن تحت الزمان، والرابعة تجرّدها عن الزمان واستغناؤه فيها عن الأسماء والألقاب التي هي آلات الضرورة، وفيها يتحد العقل والعقل بالمعقول حتى تكون شيئا واحدا، فهذا ما قال «پاتنجل» في العلم المخلص للنفس ويسمّون خلاصها بالهنديّة «موكش» أي العاقبة، وبه يسّمون أيضا تمام الأنجلاء في الكسوفين لأنّه عاقبة الكسوف ووقوع المباينة بين المتشبّثين؛ وعندهم أنّ المشاعر والحواسّ جعلت للمعرفة وجعلت اللذة فيها باعثة على البحث كما جعلت لذّة الأكل والشرب في الذوق لتبقية الشخص بالغذاء ولذّة الباءة لتبقية النوع بالإيلاد فلولوا الشهوة لما فعلهما الحيوان أو الانسان لهذين الغرضين؛ وفي كتاب «كيتا»: إنّ الإنسان مخلوق ليعلم ولاستواء العلم أعطي الآلات بالسويّة، ولو كان مخلوقا ليعمل لتفاوتت الآلات كاختلاف الأعمال باختلاف القوى⁵².

إنّهم يرون الشريعة وسننها صادرة عن «رشرين» الحكماء قواعد الدين دون الرسول الذي هو «ناراين» المتصوّر عند مجيئه بصور الإنس ولن يجيء إلّا لحسم مادّة شرّ، النسخ عندهم غير ممتنع لأنّهم يزعمون أنّ أشياء كثيرة كانت مباحّا قبل مجيء «باسديو» ثمّ حرّمت ومنها لحم البقر، ومنها أمر الأنكحة والأنساب⁵³.

52- المصدر السابق، ص 51-52

53- المصدر السابق، ص 75



الويدا أو الفيدا من أبرز كتب الهندوس المقدسة وأقدمها. تنعكس في هذا الأدب الديني حياة الآريين في الهند، أخبار حلهم وترحالهم، دينهم وسياساتهم وحضارتهم وثقافتهم، وكثيرًا ما يورد كتب الفيدا الهندوسية⁵⁴.

فمن تلك القصص ما حدّث به «شونك» الملك «پريکش» قال: كان فيما مضى من الأزمنة ملك يسمّى «انبرش» نال من الملك مناه، فرغب عنه وزهد في الدنيا وتخلّى للعبادة والتسبيح زمانًا طويلًا حتى تجلّى له المعبود في صورة «إندر» رئيس الملائكة راكب فيل ثم بعد ذلك بعد إن تبين صدقه تجلّى له الربّ في صورة إنسان بلباس أصفر راكب الطائر المسمّى «كرد» في إحدى أيديه الأربع «شنك» وهو الحلزون الذي ينفخ فيه على ظهور الفيلة وفي الثانية «جكر» وهو السلاح المستدير الحادّ المحيط الذي إذا رمي به حُرّ ما أصاب وفي الثالثة حرز وفي الرابعة «بزم» وهو النيلوفر الأحمر، فلمّا رآه الملك اقشعرّ جلده من الهيبة وسجد وسبّح كثيرًا فأنس وحششته وبشّره بالظفر بمرامه، وأمره باتخاذ تمثالًا كما رأيته عليه وتقرب بالطيب والأنوار إليه واجعله تذكّار، ومن حينئذ وضعت الأصنام بالصور؛ ومن الأصنام المشهورة صنم «مولتان» باسم الشمس، وكان محمّد بن القاسم بن المنبّه لمّا افتتح المولتان نظر إلى سبب عمارتها والأموال المجتمعة فيها فوجد ذلك الصنم إذ كان مقصودًا محجوبًا من كلّ أوب، فرأى الصلاح في تركه بعد أن علّق لحم بقر في عنقه استخفافًا به وبني هناك مسجد جامع، فلمّا استولت «القرامطة» على المولتان كسر «جلم ابن شيبان» المتغلّب ذلك الصنم وقتل سدنته وجعل بيته وهو قصر مبنّى من الآجر على مكان مرتفع جامعًا بدل الجامع الأوّل وأغلق ذاك بغضا لما عمل في أيام بني أمّية، ولمّا أزال الأمير المحمود رحمه الله أيديهم عن تلك الممالك أعاد الجماعة إلى الجامع الأوّل وأهمّل هذا الثاني⁵⁵. ثم يعلق البيروني على الأصنام: «وكان الغرض في حكاية هذا الهذيان أن تعرف الصورة من صنمها إذا شوهد

54- شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى، ص 39

55- البيروني، تحقيق ما للهند، ص 79-81

وليتحقق ما قلنا من أن هذه الأصنام منصوبة للعوام الذين سفلت مراتبهم وقصرت معارفهم فما عمل صنم قطّ باسم من علا المادّة فضلا عن الله تعالى وليعرف كيف يعبد السفل بالتمويهات ولذلك قيل في كتاب «كيتا»: إن كثيرا من الناس يتقربون في مباغيتهم إليّ بغيري ويتوسّلون بالصدقات والتسبيح والصلاة لسواي فاقوئهم عليها ووافقهم لها وأوصلهم إلى إرادتهم لاستغنائي عنهم⁵⁶.

يب- في ذكر بيذ والپرانات وكتبهم المليّة

«بيذ» تفسيره العلم لما ليس بمعلوم، وهو كلام نسبوه إلى الله تعالى من فم «براهم» ويتلوه «البراهمة» تلاوة من غير أن يفهموا تفسيره ويتعلّمونه كذلك فيما بينهم يأخذونه بعضهم من بعض ثم لا يتعلّم تفسيره إلّا قليل منهم وأقلّ من ذلك من يتصرّف في معانيه وتأويلاته على وجه النظر والجدل؛ ويعلمونه «كشتر» فيتعلّمه من غير أن يطلق له تعليمه ولو لبرهمن، ثم لا يحلّ لبيش ولا لشودر أن يسمعه فضلا عن أن يتلفظا به ويقرأه وإن صحّ ذلك على أحدهما دفعته البراهمة إلى الوالي فعاقبه بقطع اللسان؛ ويتضمّن بيذ الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب بالتحديد والتعيين والثواب والعقاب، ومعظمه على التسابيح وقرايين النار بأنواعها التي لا تكاد تحصى كثرة.

وأما كتاب «سام بيذ» ففيه القرايين والأوامر والنواهي ويقرأ بلحن كالغناء، والثالث يسمّى «بهر» ويقرأ بلحن مع غنة، ورغبة الناس فيه أقلّ، وفيه أيضا قرايين النار وأوامر في الموتى وما يجب أن يعمل بهم. وأما «الپرانات» وتفسير «پران» الأوّل القديم، فإنّها ثمانية عشر وأكثرها مسماة بأسماء حيوانات وأناس وملائكة بسبب اشتمالها على أخبارهم أو بسبب نسبة الكلام فيها أو الجواب عن المسائل إليها، وهي من عمل القوم المسمّين «رشين» والذي كان عندي منها مأخوذا من الأفواه بالسماع فهي: «آدبران» أي الأوّل و«مج پران» أي السمكة و«كورم پران» أي السلحفاة و«براه پران» أي الخنزير و«نارسك پران» أي الإنسيّ الذي رأسه رأس أسد و«بامن پران» أي



الرجل المتقلّص الأعضاء بصغرها و «باج پران» أي الريح و «تاركش پران» وهو العنقاء.
ولهم كتب في فقه ملّتهم وفي الكلام وفي الزهد والتألّه وطلب
الخلاص من الدنيا مثل كتاب عمله «كور» الزاهد وعرف باسمه،
ومثل «سانك» عمله «كپل» في الأمور الإلهيّة، ومثل «پاتنجل» في
طلب الخلاص واتحاد النفس بمعقولها⁵⁷.

57- المصدر السابق، ص88-92

المبحث الثالث: الأديان الهندية مناقشات وتعليقات... قراءات نقدية.

يركز علم الأديان المقارن على المقارنة المنهجية بين مختلف الأديان وممارساتها وعقائدها، وهو يمنح الباحث معرفة أعمق وأكثر تفصيلاً حول مختلف المعتقدات، ويهيئ الطالب للتفكير النقدي في مختلف الأديان والعادات، كما يركز على التقاليد، ودراسة الكتب المقدسة، والطقوس، والرموز، والفلسفة، وعلم الكلام⁵⁸، والدراسات في مجال مقارنة الأديان خلال العصور القديمة تنقسم إلى أربعة أنواع رئيسية، وهي:

1. الحوارات والمناظرات.
2. الرسائل.
3. الرحلات أو سرديات الرحلات، وتنقسم الرسائل إلى ثلاثة أنواع:
 1. الرسائل الوصفية.
 2. الرسائل الجدلية.
 3. الرسائل التحليلية⁵⁹.

يتضمن النقد الكتابي⁶⁰ عدة أنواع، أهمها خمسة أنواع رئيسية:

1. **النقد النصي:** يهتم بتحديد النص الأصلي أو الأكثر حجية.
2. **النقد الفلسفي:** وهو دراسة لغات الكتاب المقدس.
3. **النقد الأدبي:** يركز على أدب الكتاب المقدس لفهم طبيعة اللغة.
4. **النقد التقليدي:** يسعى إلى تتبع تطور التقاليد الشفوية.
5. **النقد الشكلي:** يهتم بالشكل الذي اشتقت منه الكتابات الكتابية.

بالإضافة إلى هذه الأنواع الخمسة، توجد أنواع أخرى مثل النقد

58- Professor Courtney Bickel Lamberth, Director of Undergraduate Studies sites.harvard.edu/icb/icb.do?keyword=k88702&pageid=icb.page2015-3-516465.1.

59- See page 8 for more details.

60- Bible Criticism is a dicipline that studies textual compositional and historical questions surrounding the Old and New Testaments(for More details see The New Encyclopedia Britanica [micropedia (1998,15th edn)], Chicago,Encyclopedia Britanica Inc. vol 2).

التاريخي والاختزالي⁶¹.

المطلب الأول: المناقشات العربية والإسلامية.

في هذا المطلب أحاول تجميع الاتجاهات الرئيسية التي ناقشت أديان البيروني في كتابه، لقد ناقش بعض المفكرين العرب والمسلمين كتاب البيروني، والحق أن مناقشاتهم لا تقارن كمًا ولا كيفًا بالمناقشات الغربية التي جاءت أكثر عمقًا وأفقًا، وحاول الباحث قدر جهده أن يجمع جل المناقشات، حتى تتجمع الأفكار وتحاول تجسيد رؤية شاملة حول جهود البيروني.

يُعدّ كتاب «الهند» للبيروني عملاً رائداً في دراسة الحضارة الهندية وديناميكيات التبادل الثقافي. وقد كُتب خلال العصور الوسطى، ويُقدّم البيروني من خلال استكشافه الشامل للدين والفلسفة والعلوم والثقافة الهندية.

اتسمت مساعي البيروني العلمية بالتزام عميق بالبحث التجريبي والحوار بين الثقافات. وقد مكّنته أسفاره ودراساته الواسعة من التفاعل مع ثقافات وحضارات متنوعة مما أدى إلى إنتاج مجموعة ضخمة من الأعمال التي تجاوزت الحدود الجغرافية والفكرية⁶².

كما نقل أكرم تأكيد ستيفن فاسرستروم أن هناك اتفاق عام بين مؤرخي الأديان بأن الحضارة الإسلامية هي التي أنتجت أعظم تاريخ للأديان قبل العصر الحديث، وبالفعل فإن الاستحسان الغربي لهذا الإسهام جاء متحمّساً ومتواصلاً بناءً على ملاحظة أن المعرفة التاريخية من إبداع المسلمين⁶³.

للأسف الشديد أن مناقشات العربية والإسلامية قليلة ونادرة ولا تقارن البتة مع المناقشات الغربية المتنوعة.

61- Encyclopedia Britanica, microdia vol 2 p 216.

62- Yusuf, H. (2012). Al-Biruni: The First Anthropologist. Journal of Islamic Studies, 336-313, (3)23.

63- Akram, M. (2006-12-26). «The Other Within and The Self Without»: Encounters of Islam and western traditions in the study of religions. p. 98

المطلب الثاني: المناقشات الغربية.

المناقشات الغربية ثرية ومتنوعة، ولا تقتصر على قرن بعينه، فلا يزال كتاب البيروني يقرأ، ولا يزال الإقبال عليه حيويًا، يقول المؤرخ سارطون الذي قوّم حضارات الأمم وعدد منجزاتها في كتابه الضخم «المقدمة إلى تاريخ العلوم» ان النصف الاول للقرن الحادي عشر ينبغي أن يسمى (عصر البيروني) لانه ملأ عصره وفاق معاصريه إذ حلق قلما يلحق به أحد⁶⁴.

ويلاحظ شاخو أن الكتاب ذو طابع فريد في الأدب الإسلامي باعتباره محاولة جادة لدراسة عالم وثني دون أن يشرع صاحبه في عمله قاصدًا الهجوم والتفنيد، بل نراه يدأب على إبداء رغبته في أن يكون عادلاً غير متحيز، حتى ولو كانت آراء من يعارضه لا تلقى القبول⁶⁵، وقال واط لقد أرسى البيروني أسس علم الدين المقارن⁶⁶.

يُعَدُّ نظام الطبقات الاجتماعية أحد أبرز سمات المجتمع الهندي التي تناولها البيروني، يصف البيروني التقسيم الهرمي للمجتمع إلى أربع طبقات اجتماعية رئيسة: البراهمة «الكهنة والعلماء»، والكشاتريا «المحاربون والحكام»، والفيشيا «التجار والمزارعون»، والشوذرا «العمال والحرفيون»⁶⁷، وقد درس البيروني الامتيازات والالتزامات المرتبطة بكل طبقة، بالإضافة إلى القيود المفروضة على الحراك الاجتماعي والتفاعل بين مختلف الجماعات.

فيما يتعلق بالمصادر، استقى البيروني مادته العلمية من مجموعة متنوعة من المصادر لتأليف «كتاب الهند»، وقد استشهد بنصوص هندية قديمة، فضلاً عن ذلك استشهد بالكتب الدينية مثل: الفيدا والبورانا، بالإضافة إلى رسائل علمية في علم الفلك والرياضيات

64- البيروني(ت 440هـ)، تحقيق ما للهند، 1403 هـ، ص7-8

65- Sachau, «Alberuni's India». (Preface), p: xix

66- Watt, W Montgomery. (1979). «AL-Biruni and The study of non-Islamic Religions».Al-Biruni Commemorative Volume, 419-414.

67- Sachau, E. C. (1910). Alberuni's India: An Account of the Religion, Philosophy, Literature, Geography, Chronology, Astronomy, Customs, Laws and Astrology of India about A.D. 1030. Kegan Paul, Trench, Trubner & Co. Ltd.



والطب⁶⁸، بالإضافة إلى أن البيروني استشار علماء وخبراء هنود معاصرين، وشارك في حوارات ونقاشات علمية لتعزيز فهمه للثقافة والمجتمع الهندي، وبشكل عام، تعكس منهجية البيروني ومصادره في «كتاب الهند» التزامه بالدقة العلمية والبحث التجريبي والحوار بين الثقافات، وذلك باستخدام طرائق متنوعة والاستناد إلى مصادر متعددة، حتى أنتج البيروني عملاً رائداً لا يزال يُعتبر علامة فارقة في دراسة الحضارتين الإسلامية والهندية.

يتناول البيروني في كتابه الجاينية وغيرها من الديانات الأصلية، مُسلطاً الضوء على أهميتها في تشكيل الهويات الفردية والجماعية⁶⁹، كما يتناول المهرجانات الدينية، ومواقع الحج وطقوس المعابد التي شكلت جزءاً لا يتجزأ من الحياة الدينية الهندية.

وتميزت مساعيه الفكرية بفضول عميق تجاه العالم من حوله⁷⁰، كما لاحظ فرانتس لوزنتر «أن دراسة الأديان المقارنة قد ظهرت في الحقيقة كواحدة من الإسهامات الكبرى للحضارة الإسلامية على مرّ عصور التطور الفكري الذي عرفته الإنسانية⁷¹، وأشاد بروس لورنس بإسهامات البيروني ومقارنته المنهجية في دراسة الهندوسية والتعامل مع نصوصها المقدسة،

وأن البيروني كتب عن الفكر الهندوسي، وقدمه مستعملاً فكره وثقافته الإسلامية الخاصة كما هو الحال مع مفهوم الألوهية عند الهندوس، إلا أن ذلك لم يمنعه من الإشادة بالمقاربة المنهجية التي أسسها البيروني والتي للأسف لم يأت بعده أحد لتطويرها⁷².

68- Pingree, D. (1981). Al-Biruni's India. The Journal of the American Oriental Society, -175 ,(2)101 176.

69- Sachau, E. C. (1910). Alberuni's India: An Account of the Religion, Philosophy, Literature, Geography, Chronology, Astronomy, Customs, Laws and Astrology of India about A.D. 1030. Kegan Paul, Trench, Trubner & Co. Ltd.

70- Sarton, G. (1927). Introduction to the History of Science. Williams & Wilkins Company.

71- «The comparative study of religion has been rightly acclaimed as one of the great contributions of Muslim civilization to mankind's intellectual progress». (Akram, M; «The Other within and the Self without», p. 98

72- Bruce, L. B. (1976). Al-biruni's Approach to The Comparative Study Of Indian Culture. BIRUNI

يُقدّم كتاب جورج سارتون الرائد «مقدمة في تاريخ العلوم» نظرةً شاملةً على الحيوية الفكرية للعصر الذهبي الإسلامي، مُسلّطًا الضوء على الديناميكيات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي أثّرت في فكر البيروني⁷³.

ويلاحظ شاخو أن الكتاب ذو طابع فريد في الأدب الإسلامي باعتباره محاولة جادة لدراسة عالم وثني دون أن يشرع صاحبه في عمله قاصدًا الهجوم والتفنيد، بل نراه يدأب على إبداء رغبته في أن يكون عادلاً غير متحيز، حتى ولو كانت آراء من يعارضه لا تلقى القبول⁷⁴. فبينما يقدم عمل البيروني رؤى قيّمة حول العلوم الهندية، يرى بعض الباحثين أنه لا يُغطي بشكل كامل اتساع وعمق أنظمة المعرفة المحلية في الهند. تشير روميل ثابار، في كتابها «الهند القديمة: من الأصول إلى عام ١٣٠٠ ميلادي»، إلى أن تركيز البيروني على المصادر النصية ووجهات نظر النخبة قد يُغفل مساهمات المجتمعات غير النخبوية والتقاليد الشفوية في العلوم الهندية⁷⁵، استرشدت مساعي البيروني العلمية بالتزامه بالبحث التجريبي والمعرفة العلمية، في كتابه «كتاب الهند»، استخدم منهجيات دقيقة، شملت التحليل اللغوي، والملاحظات الفلكية، والبحث الإثنوغرافي، لتوثيق جوانب مختلفة من الحضارة الهندية⁷⁶.

يُقدّم كتاب جورج سارتون الرائد «مقدمة في تاريخ العلوم» نظرةً شاملةً على الحيوية الفكرية للعصر الذهبي الإسلامي، مُسلّطًا الضوء على الديناميكيات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي أثّرت في فكر البيروني⁷⁷، وبالمثل، يُقدّم كتاب مارشال هودجسون «مغامرة الإسلام» رؤىً ثاقبةً حول السياق التاريخي الأوسع لعصر البيروني،

SYMPOSIUM. Iran Center Columbia University, p. 27.

73- Sarton, G. (1927). Introduction to the History of Science. Williams & Wilkins Company.

74- Sachau, «Alberuni's India». (Preface), p: xix.

75- Thapar, R. (2002). The History of Early India: From the Origins to AD 1300. Penguin Books India.

76- Pingree, D. (1981). Al-Biruni's India. The Journal of the American Oriental Society, -175, (2)101-176.

77- Sarton, G. (1927). Introduction to the History of Science. Williams & Wilkins Company

مؤكدًا على دور الحضارة الإسلامية في تشكيل التطورات الفكرية العالمية.

يقدم استعراض ديفيد بينجري لأعمال البيروني رؤى نقدية حول الأبعاد اللغوية والثقافية لكتاب «كتاب الهند»، مؤكدًا دوره في تيسير التفاهم والحوار بين الثقافات⁷⁸.

يقدم بحث ريتشارد إيتون حول نشأة الإسلام وتفاعلاته مع شبه القارة الهندية منظورًا قيّمًا حول الخلفية التاريخية لاستكشاف البيروني للحضارة الهندية⁷⁹.

تعدّ على رأس تلك الأعمال الغربية التي حاولت النيل من التراث الإسلامي، واردنبورغ الذي همّش إسهامات علماء المسلمين واعتبرها لم تك ذات جدوى حقيقية في مجال تاريخ الأديان⁸⁰، إلا أنه استثنى رمزين من رموز الفكر الإسلامي بهذا الصدد، ويتعلق الأمر بالبيروني، والشهرستاني، وأهم محطة تاريخية وقف عندها هي العصر الوسيط حيث أبدى المسلمون اهتمامًا كبيرًا بالأديان الأخرى، لكن مع ذلك فهو يضع الكثير من علامات الاستفهام حول تلك الجهود ويعتبرها لا تخرج عن حدود الفضول والنظرة المركزية التي يتخذها المسلمون لأنفسهم إزاء الآخر⁸¹.

المطلب الثالث: قراءات نقدية.

القراءات النقدية التي وُجّهت لعمل البيروني متنوعة، وقد يتداخل بعضها ضمن المناقشات والتعليقات، وحاول الباحث ضبط الأمر بشيء من الموضوعية المنهجية، وعلى الرغم من أن البيروني استشهد بنصوص هندية قديمة، بما في ذلك الكتب الدينية مثل

78- Pingree, 176, (2)101.

79- Eaton, R. M. (2006). The Rise of Islam and the Bengal Frontier, 1760-1204. University of California Press.

80- Waardenburg, J. (1999). «Muslim perceptions of other religions»: A Historical Survey. Newyork: Oxford University p.18

81- Ibid, p. 70-60

الفيدا والبورانا، فضلاً عن رسائل علمية في علم الفلك والرياضيات والطب⁸²، واستشار البيروني علماء هندود معاصرين، وشارك في حوارات ونقاشات علمية لتعزيز فهمه للثقافة والمجتمع الهندي، بشكل عام، تعكس منهجية البيروني ومصادره في «كتاب الهند» التزامه بالدقة العلمية والبحث التجريبي والحوار بين الثقافات، باستخدام طرائق متنوعة والاستناد إلى مصادر متعددة، ولقد أنتج البيروني عملاً رائداً لا يزال يُعتبر علامة فارقة في دراسة الحضارتين الإسلامية والهندية.

قدم البيروني سرداً شاملاً للثقافة والمجتمع الهندي، جغرافياً، قدم وصفاً تفصيلياً لشبه القارة الهندية، بما في ذلك خصائصها الجغرافية ومناخها ومواردها الطبيعية، ورسم خرائط لمناطق الهند، وقدم رؤى ثاقبة حول تنوع مناظرها الطبيعية، من جبال الهيمالايا في الشمال إلى هضبة الدكن في الجنوب⁸³.

يُعدّ نظام الطبقات الاجتماعية أحد أبرز سمات المجتمع الهندي التي تناولها البيروني، وقد وصف البيروني التقسيم الهرمي للمجتمع إلى أربع طبقات اجتماعية رئيسية: البراهمة «الكهنة والعلماء»، والكشاتريا «المحاربون والحكام»، والفيشيا (التجار والمزارعون)، والشودرا (العمال والحرفيون)⁸⁴ يكشف تحليل محتوى كتاب البيروني «كتاب الهند» عن نسيج غني من الرؤى الثاقبة حول مختلف جوانب الحضارة الهندية، بما في ذلك جغرافيتها، ودينها، ولغتها، وأدبها، وعاداتها، وعلومها، ومن خلال الملاحظة الدقيقة، والتحليل المنهجي، والدراسة المقارنة، قدم البيروني سرداً شاملاً للثقافة والمجتمع الهندي. وشملت مساعي البيروني العلمية التزامه بالبحث التجريبي والمعرفة

82- Pingree, D. (1981). Al-Biruni's India. The Journal of the American Oriental Society, -175, (2)101 176.

83- Sachau, E. C. (1910). Alberuni's India: An Account of the Religion, Philosophy, Literature, Geography, Chronology, Astronomy, Customs, Laws and Astrology of India about A.D. 1030. Kegan Paul, Trench, Trubner & Co. Ltd.

84- Sachau, E. C. (1910). Alberuni's India: An Account of the Religion, Philosophy, Literature, Geography, Chronology, Astronomy, Customs, Laws and Astrology of India about A.D. 1030. Kegan Paul, Trench, Trubner & Co. Ltd.



العلمية، في كتابه «كتاب الهند»، استخدم منهجيات دقيقة، شملت التحليل اللغوي، والملاحظات الفلكية، والبحث الإثنوغرافي، لتوثيق جوانب مختلفة من الحضارة الهندية⁸⁵.

إضافةً إلى ذلك، انتقد باحثون البيروني لنظريته إلى العلوم الهندية من منظور اللاهوت والفلسفة الإسلامية، الأمر الذي ربما أثر على تفسيراته وأحكامه⁸⁶، إلا أنه استثنى رمزين من رموز الفكر الإسلامي بهذا الصدد، ويتعلق الأمر بالبيروني، والشهرستاني، وعلى الرغم من أن المسلمين يبدون اهتمامًا كبيرًا بالأديان الأخرى إلا أن هناك الكثير من علامات الاستفهام حول تلك الجهود، إذ تعتبر لا تخرج عن حدود الفضول والنظرة المركزية التي يتخذها المسلمون لأنفسهم إزاء الآخر⁸⁷.

والبعض تجني في النظرة الاقصائية وأكد الفاروقي أن الدين يُدرس عندهم- باعتباره ظاهرة ثقافية أو سيكولوجية، وبالتالي تلغى القدسية إما ضمنيًا، وإما صراحة⁸⁸، والموقف ذاته سُجِّل عند عالم غربي آخر وقد أسقط الحضارة الإسلامية جملة وتفصيلاً عند سرده لتاريخ الأمم التي أسهمت في ظهور تاريخ الأديان « الدراسة العلمية للدين⁸⁹ ».

وإن أبدى إعجابًا ببعض العلماء وحتى المؤرخين المسلمين كالبيروني والشهرستاني وكتاباتهما، إلا أن الحكم العام الذي خرجا به يقضي بنفي وجود دراسة علمية للأديان قبل العصر الحديث. أي إنه لا مجال للحديث عن علم الأديان المقارن إلا في القرن التاسع عشر في أوروبا⁹⁰.

مع ذلك، لاحظ بعض الباحثين أيضًا وجود قصور وتحيزات في فهم

85- Pingree, D. (1981). Al-Biruni's India. The Journal of the American Oriental Society, -175 ,(2)101 176.

86- Yusuf, H. (2012). Al-Biruni: The First Anthropologist. Journal of Islamic Studies, 336-313 ,(3)23.

87- Ibid, p. 70-60

88- ALfaruqi, Meta religion: Towards A Critical World Of Theology. 1986,p. 18

89- Malik, T. A. (2009). Objectivity and the scientific study of religion. P. 84

90-ibid, p.84

البيروني للعلوم الهندية، فعلى سبيل المثال، يسلط ديفيد بينغري، في مراجعته لكتاب «هند البيروني»، الضوء على حالات أساء فيها البيروني تفسير أو تمثيل المفاهيم العلمية الهندية بسبب الاختلافات الثقافية واللغوية⁹¹، والمناهج النقدية التي يعتمد عليها العلماء في الغرب في الحقيقة لا تسمح لمعتنقي الأديان بالتعبير عن أنفسهم⁹². تشير روميل تابار، في كتابها «الهند القديمة: من الأصول إلى عام ١٣٠٠ ميلادي»، إلى أن تركيز البيروني على المصادر النصية ووجهات نظر النخبة قد يُغفل مساهمات المجتمعات غير النخبوية والتقاليد الشفوية في العلوم الهندية⁹³، وتؤكد تابار على أهمية دمج مصادر ووجهات نظر متعددة لفهم تعقيد أنظمة المعرفة الهندية، بشكل عام، يُقرّ الباحثون بأن كتاب البيروني «كتاب الهند» عملٌ رائدٌ يلقي الضوء على العلوم وأنظمة المعرفة الهندية، وبينما يُقرّون بقوته في الملاحظة التجريبية والحوار بين الثقافات، يُشدّد الباحثون أيضًا على ضرورة التقييم النقدي ووضع فهم البيروني في سياقه ضمن أطر تاريخية وثقافية أوسع، وذلك لتطبيقهم في الغرب مناهج نقدية لا تسمح لمعتنقي الأديان بالتعبير عن أنفسهم⁹⁴.

وبقى أن نذكر أنموذجًا من نماذج اجتهادات البيروني ما قاله حول تحريم أكل لحم البقر: «و سمعت إن البراهمة كانت تتأذى بأكل لحمان البقر، وأنا أظن في ذلك أحد أمرين: أمّا السياسة فإنّ البقر هي الحيوان الذي يخدم في الأسفار بنقل الأحمال والأثقال وفي الفلاحة بالكرب والزراعة فحرّم كما حرّمه الحجّاج لَمّا شكى إليه خراب السواد، وُكي لي أنّ في بعض كتبهم: أنّ الأشياء كلها شيء واحد وفي الحظر والإبادة سواسية، وإنّما تختلف بسبب العجز والقدرة، فالذئب يقتدر على حطم الشاة فهي أكلته والشاة تعجز عنه وقد

91- Pingree, D. (1981). Al-Biruni's 176 ,(2)101.

92- ALfaruqi, Meta religion. 1986,p. 219

93- Thapar, R. (2002). The History of Early India: From the Origins to AD 1300. Penguin Books India.

94- ALfaruqi, Meta religion. 1986,p. 219



صارت فريسته، ووجدت في كتبهم ما شهد بمثله»⁹⁵.

النتائج والتوصيات

يمكن إيجاز أهم النتائج في النقاط التالية:

1. أن تناول البيروني لأديان الهند امتاز بموضوعية وتحليلية تؤكد ريادته في تأسيس أصول علم الدين المقارن.
2. أن البيروني لم يكتف بما طالعه في كتبهم، فقد احتك بعلمائهم وتناقش معهم، واستطاع أن يدقق في كل ما وصله من معلومات.
3. أن المناقشات الغربية أكثر عمقًا وثراءً من المناقشات العربية والإسلامية التي دارت حول البيروني وجهوده في توصيف أديان الهند وتحليلها.

التوصيات.

يمكن إيجاز أهم التوصيات في النقاط التالية:

1. يوصى البحث بالتوسع في استشراف جهود البيروني في كل الديانات التي تناولها في بحوثه.
2. يوصى البحث بضرورة حصر تجميع والآراء الغربية حول أعمال البيروني ومناقشتها، للاستفادة من تجاربهم ونقد بعض آرائهم غير الصائبة، والمتجنية بالتقليل من جهود علماء المسلمين لا سيما في العصور الوسطى.
3. يوصى البحث بعمل ندوات ومؤتمرات تولى التنقيب في تراث البيروني بباحثين أكاديميين متخصصين، تعظيمًا لدوره، وتقديرًا لإسهاماته، وتعريفًا بها.

المراجع والمصادر العربية

- أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ)، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ
- أحمد أمين، ظهر الإسلام، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ٢٠١٦ م.
- أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب ت، ٣٠/٢.
- أحمد حسن الزيات باشا (ت ١٣٨٨هـ)، البيروني، مجلة الرسالة، المكتبة الشاملة، نسخة إلكترونية، العدد ٤ - بتاريخ: ١٠-٣-١٩٣٣م
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ)، تحقيق ما للهند، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ
- البيهقي، ظهير الدين، تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كرد علي، المجمع العلمي العربي، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م
- جمال مرسي بدر، البيروني، دائرة معارف الشعب، العدد ٨٢، سنة ١٩٦٠ م
- الحمد، مكانة البيروني، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٢م
- د. أحمد سعيد الدمرداش، أبو الريحان البيروني، سلسلة علماء الإسلام، دار المعارف، د.ن
- د. عمر بن سكا، نقد الأديان عند البيروني، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠٢١/٥١٤٢٣م
- السمعاني، كتاب الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨
- سيد أشرف صالح، الآثار الباقية عن البيروني، دار النشر الإلكترونية، القاهرة، ٢٠٠٧
- شافية صديق، جهود أبي الريحان البيروني في دراسة الأديان



- مذكرة ماستر، مدونة د. شافية صديق، السبت ١٧ أفريل ٢٠٢١
- الشحات، علي أحمد، أبو الريحان البيروني: حياته - مؤلفاته- أبحاثه العلمية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨م
- شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، طبعة أولى، عام ١٩٧٦
- عكاوي، رحاب، أبو الريحان البيروني أعظم عقلية عرفها التاريخ. دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨
- فيليب حتى ، تاريخ العرب، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٥١م
- محمد شافع بوعناني، « أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت. ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨م): حياته ورحلاته العلمية وأثرها في فكره الموسوعي». - دورية كان التاريخية. - السنة الثالثة عشرة- العدد التاسع والأربعون؛ سبتمبر ٢٠٢٠.
- محمد عبد الحميد الحمد، مكانة البيروني في الحضارة العربية والعالمية، عالم المعرفة، الكويت، مارس ٢٠٠٢م البيروني، مجلة الرسالة، العدد ٤ - بتاريخ: ١ - ٣ - ١٩٣٣م
- المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الأديان الوضعية، كود المادة: GUSU0١٠٣، المرحلة: ماجستير، الناشر: جامعة المدينة العالمية، عدد الصفحات: ٤٨٨ بدون تاريخ، ومتاح في المكتبة الشاملة
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦ هـ)، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

المصادر الأجنبية

- «The comparative study of religion has been rightly acclaimed as one of the great contributions of Muslim civilization to mankind's intellectual progress». (Akram, M; «The Other within



and the Self without»

- Akram, M. (2006-12-26). «The Other Within and The Self Without»: Encounters of Islam and western traditions in the study of religions.
- ALfaruqi, Meta religion: Towards A Critical World Of Theology. 1986
- Bible Criticism is a dicipline that studies textual compositional and historical questions surrounding the Old and New Testaments(for More details see The New Encyclopedia Britanica [micropedia (1998,15th edn)], Chicago,Encyclopedia Britanica Inc. vol 2).
- Bruce, L. B. (1976). Al-biruni's Approach to The Comparative Study Of Indian Culture. BIRUNI SYMPOSIUM. Iran Center Columbia University.
- Eaton, R. M. (2006). The Rise of Islam and the Bengal Frontier, 1760–1204. University of California Press.
- Encyclopedia Britanica,micropdia vol 2.
- Hussien,F (2023) The virtues of Al-Aqsa and Al-Quds Al-Sharif and the prophets, companions and followers who lived there.. INTERNATIONAL MINNESOTA JOURNAL OF ACADEMIC STUDIES, (ISSUE:5), (VOL: 2), ,Pp:92-63 .
- Kamar Oniah Kamaruzaman,(1996) Early Muslim scholarship in religionswissenschaft : a case study of the works and contributions of Abu Rayhan Muhammad ibn Ahmad al-Biruni, International Islamic University Malaysia.
- Malik, T. A. (2009). Objectivity and the scientific study of religion.
- Pingree, D. (1981). Al-Biruni's India. The Journal of the American Oriental Society, 2)101).



- Professor Courtney Bickel Lamberth, Director of Undergraduate Studies sites.harvard.edu/icb/icb.do?keyword=k88702&pageid=icb.page2015-3-516465.1.
- Sachau, E. C. (1910). Alberuni's India: An Account of the Religion, Philosophy, Literature, Geography, Chronology, Astronomy, Customs, Laws and Astrology of India about A.D. 1030. Kegan Paul, Trench, Trubner & Co. Ltd.
- Sarton, G. (1927). Introduction to the History of Science. Williams & Wilkins Company.
- Thapar, R. (2002). The History of Early India: From the Origins to AD 1300. Penguin Books India.
- Waardenburg, J. (1999). «Muslim perceptions of other religions»: A Historical Survey. New York: Oxford University
- Watt, W Montgomery. (1979). «AL-Biruni and The study of non-Islamic Religions». Al-Biruni Commemorative Volume, 419-414.
- Yusuf, H. (2012). Al-Biruni: The First Anthropologist. Journal of Islamic Studies, 3(23).



الجامعة الإسلامية بنيسوتا

Islamic University of Minnesota

المركز الرئيسي IUM